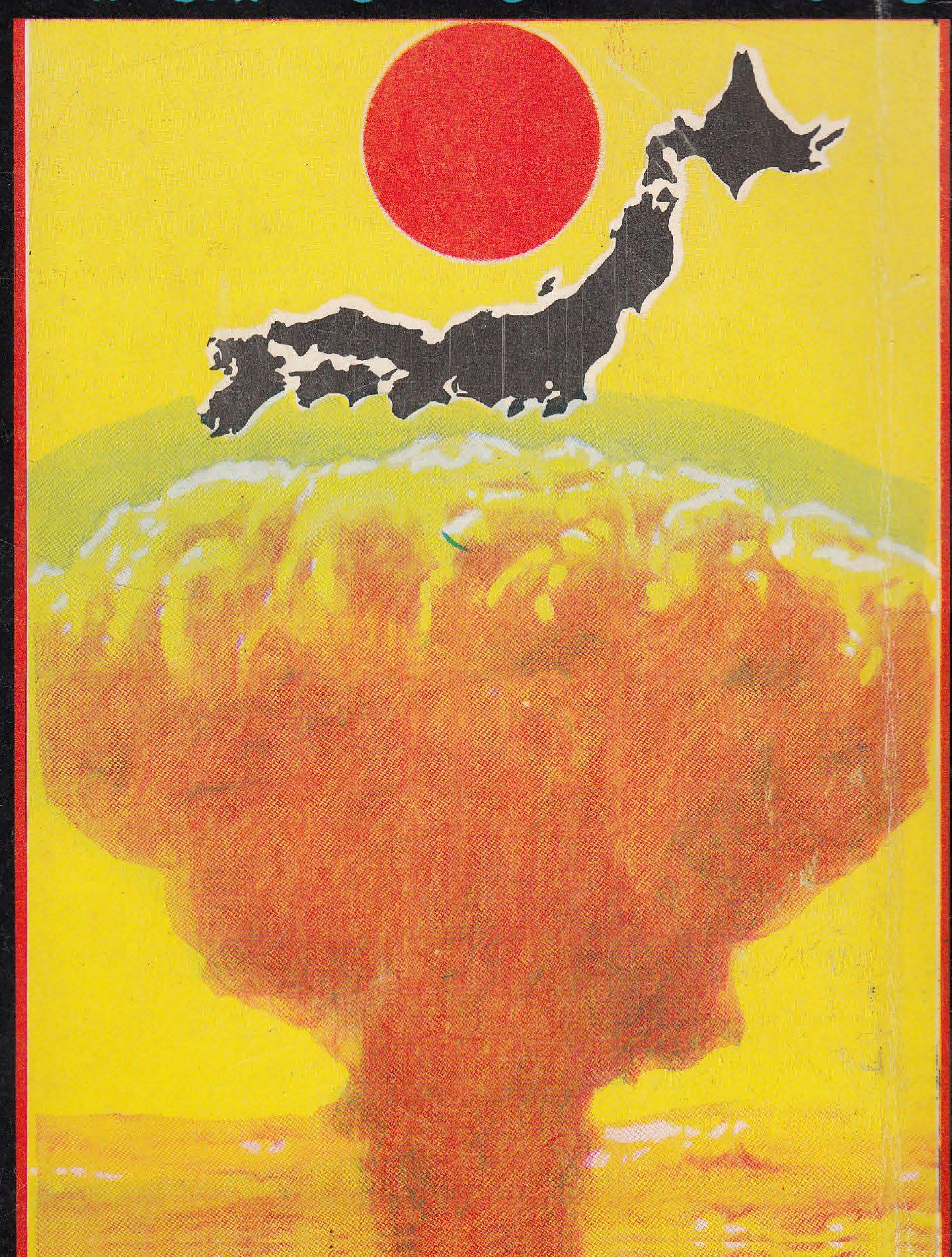
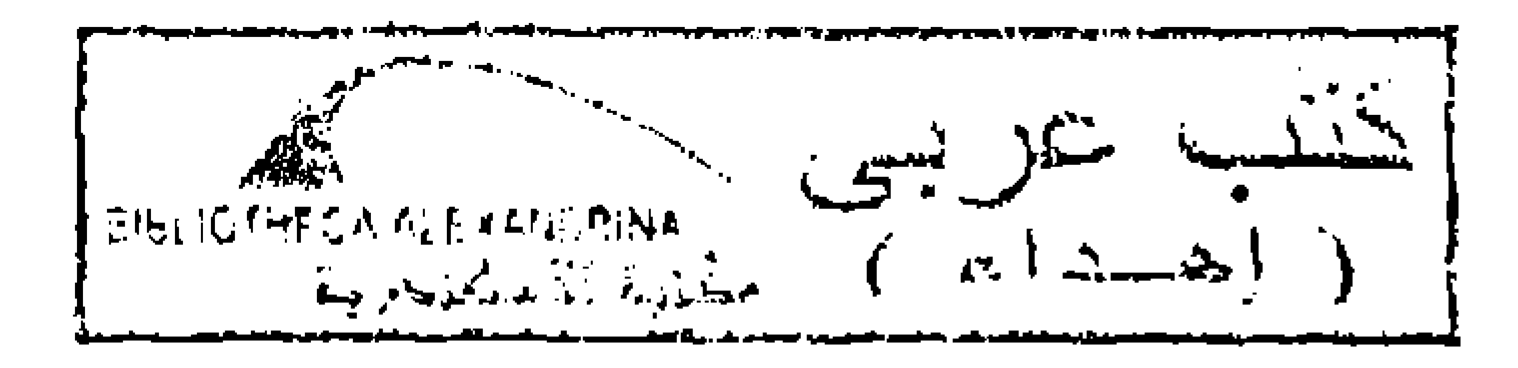
طارق فودة

وأشرقت الشمس على هيروشيما



طارق فودة

.. وأشرقت الشمس على هيروشيما



دار ومكتبة الهلال
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

هيروشيما . .
لماذا . . ؟

طبيب واحد هو الذى بقى على قيد الحياة من ابناء هيروشيما . .
. . عاش ليكتب لنا . . وبعد حين ، ماساة ذلك الصباح الذى
لا ينسى .. صباح السادس من اغسطس سنة ١٩٤٥ .
فماذا قال ؟

● ساعات الصباح الأولى ..

صباح هادىء دافىء ، جميل .. اوراق الشجر المهتزة تعكس نبضا من اشعة الشمس النافذة عبر سحابات تمضي في السماء فتعطي خضرة الحديقة امامي اضواء متقطعة جميلة . .

وانا . . هنا . . داخل حجرة المعيشة ما زلت اتحرك داخل بنطلوني وفانلتي بعد ليلة لم انم فيها إلا لحظات قصيرة . فقد كانت سهرتي في المستشفى الخاص بي من اجل إسعاف اولئك الذين اصيبوا في آخر الغارات الجوية .. وفجاة :

ومض ضوء قوى افزعني ..

وآخر . .

هكذا استطيع ان اتذكر الأشياء الصغيرة التي حدثت ، طوبة صغيرة قذفت إلى داخل حديقتي وقد تحولت إلى شيء هش اشبه بالتراب المتماسك ..

ما سر هذا الضوء ! اهو قادم من إضاءة ماغنسيومية أم إنها شرارة كهربية من ترولي يعبر امامنا ..

اختفت الظلال على ارض الحديقة ..

المنظر الذى كنت أعيشه منذ لحظات ، مضيئا ساطعا اصبح الآن قاتما ومغبرا .. ومن خلال الاتربة كثيرة استطعت ان اتعرف فقط على قائم خشبي يسند ركن بيتي . نعم يسند ركن البيت الذى اتضح ان سقفه قد مال عليه وان كل البيت قد اصيب بعنف .

وفي خطوات بطيئة حذرة . حاولت ان اهرب ، ولكن قطعا من الخشب المتساقط حالت دون ذلك .. ولكنني ، وبحذر اكثر حاولت مرة أخرى حتى استطعت ان اصل إلى حديقتي . احسست بضعف شديد ينتابني . وقفت لالتقط انفاسي او اجمع قوتي . ومما ادهشني انني لاحظت ـ الآن فقط انني تعريت تماما . كيف ! .. اين بنطلوني وفانلتي ؟

ما الذى حدث ؟ ..

جانبي الأيمن كله كان مجروحا ، وكان سكينا حادة لمسته فادمته

بطوله . وجرح هناك .. شيء حار داخل فمي . خدى جرح بشدة . شفتي السفلى وكانها نامت على ذقني وفتحت هكذا كإنسان معتوه .. وعلى رقبتي ارتشقت قطعة صغيرة من زجاج متناثر .

واين كانت زوجتي .

فجاة جاءت الذاكرة إلى راسي .. رحت اناديها .

يا يكوسان ! يا يكوسان ! اين انت ؟ ..

وبدا الدم يخرج من فمي .

ما الذى تمزق في داخلي .

هل سانزف حتى الموت ؟

خائف ومرتعش .. ولكنني اناديك مرة اخرى ..

إنها قنبلة تزن خمسمائة طن ! يا يكوسان اين انت ؟ لقد القيت قنبلة تزن خمسمائة طن ! ..

وفي ثياب مهلهلة ، دامية دامعة ، خائفة مذعورة جاءت يا يكوسان عبر انقاض البيت ..

سنكون بخير .. سنكون بخير .. فقط دعينا نخرج من هنا باسرع ما يمكن ..

● ● ●

هذه هي بداية اليوميات التى حاول أن يتذكرها الطبيب اليابانى الوحيد الذى عاش وسط المدينة ..

والذى - رغم جروجه وآلمه - عاد إلى مستشفاه ليلحق بإخوانه واصدقائه وابنائه وذويه .. ابناء هيروشيما .. اما الذى رآه ميكيهيكو هاسيبا الطبيب اليابانى خارج البيت . . واما الذى رآه في مستشفاه . . وعلى قارعة الطريق فليس هناك على هذه الأرض من يستطيع تصوره .

كانت القنبله الذرية الأولى قد اسقطت فوق هيروشيما. ليست قنبله عادية تزن خمسمائة طن كما تصور الطبيب . . فالقنابل التقليدية تحدث دويا وتاتى دمارا . . لكنه ليس دمارا بالجملة . . وليس إبادة جماعية للأرض والبشر والحيوانات والمحاصيل والجو ايضا . .

الصور وحدها . .

التى تنشر لأول مرة هنا .... هى التى تستطيع ان تظهر بشاعة الجرم والجريمة . .

ومن عجب ان اولى هذه الصور إلتقطت لانفجار القنبلة الذرية بنفس اليد التى القت القنبلة . . يد الطيار الأمريكى الذى إرتكب الجريمة ، راح يحمل وثيقة إرتكابها وصك إدانته . .

ومن عجب ايضا . . أن مفاوضات تجرى الآن . . بين الولايات المتحدة الأمريكية . . وبين الاتحاد السوفيتى عن نشر الصواريخ الذرية هنا وهناك . . مفاوضات تقول :

نبقى على الصواريخ النووية ونعقد معاهدة عدم إعتداء . . هذا هو صوت السوفيت . . ومفاوضات تقول :

نذهب إلى خيار الصفر ، ونبعد الصواريخ . .

ولكل هؤلاء اقول :

ولكل شباب اوروبا واليابان حتى الولايات المتحدة الامريكية وافريقيا واسيا . . اهدى هذه المجموعة من الصور لأول قنبلة ذرية صغيرة هى - فى رأى الخبراء - واحد إلى مائة من قوة مثيلاتها اليوم .

واقول :

لا هنا ، ولا هناك . . بل تدمير كامل لكل هـذه القنابـل والصواريخ ، قبل ان تفنى الأجزاء المتطايرة منها ولو عن طريق الخطا : الوجود كله . . هذه القنبلة الذرية الأولى على هيروشيما اخذت وفى لحظات معدودة ارواح مائة وسبعين الف نسمة من خيرة شباب واطفال هذه الأرض . .

وبعدها بايام قليلة سقطت قنبلة أخرى اقل شانا على ناجازالى لتحصد ارواح مائة وثلاثين الف نسمة . .

فماذا تنتظرون ؟ ! . .

● ● ●

● خمس صور فقط

فى السادس من أغسطس ١٩٤٥ :

خمس صور فقط إستطاع ماتسو شيجى يوشيتو الشاب اليابانى أن يلتقطها فى صباح ذلك اليوم . . لكل ما حدث على أرض هيروشيما . . فيما عدا عدة صور إلتقطت لغبار القنبلة الذرية ذاته والسحب المنبعثة عنه . . وقد ساءت الصور بمرور الزمن ولأنها بقيت دون رعاية خلال الأيام الأولى .

من اجل هذا كان إسم هيروشيما هو موضوع هذا الكتاب . .
ومن أجل هذا أيضا . . ومن أجل هيروشيما الصامدة . .الجميلة التى زرتها اخيرا ، من اجل كل ما حققه ابناء هيروشيما الذين عادوا إليها . .

وهم من ابناء اليابان ، هذه الأمة التى وصفها الكثير من زعماء الدنيا بانها خرافية . . غير قابلة للتصديق لفرط إيمانهم بوطنهم وإصرارهم على الجهد والعمل والجد والكفاح . . كان إختيار إسم هذا الكتاب . .

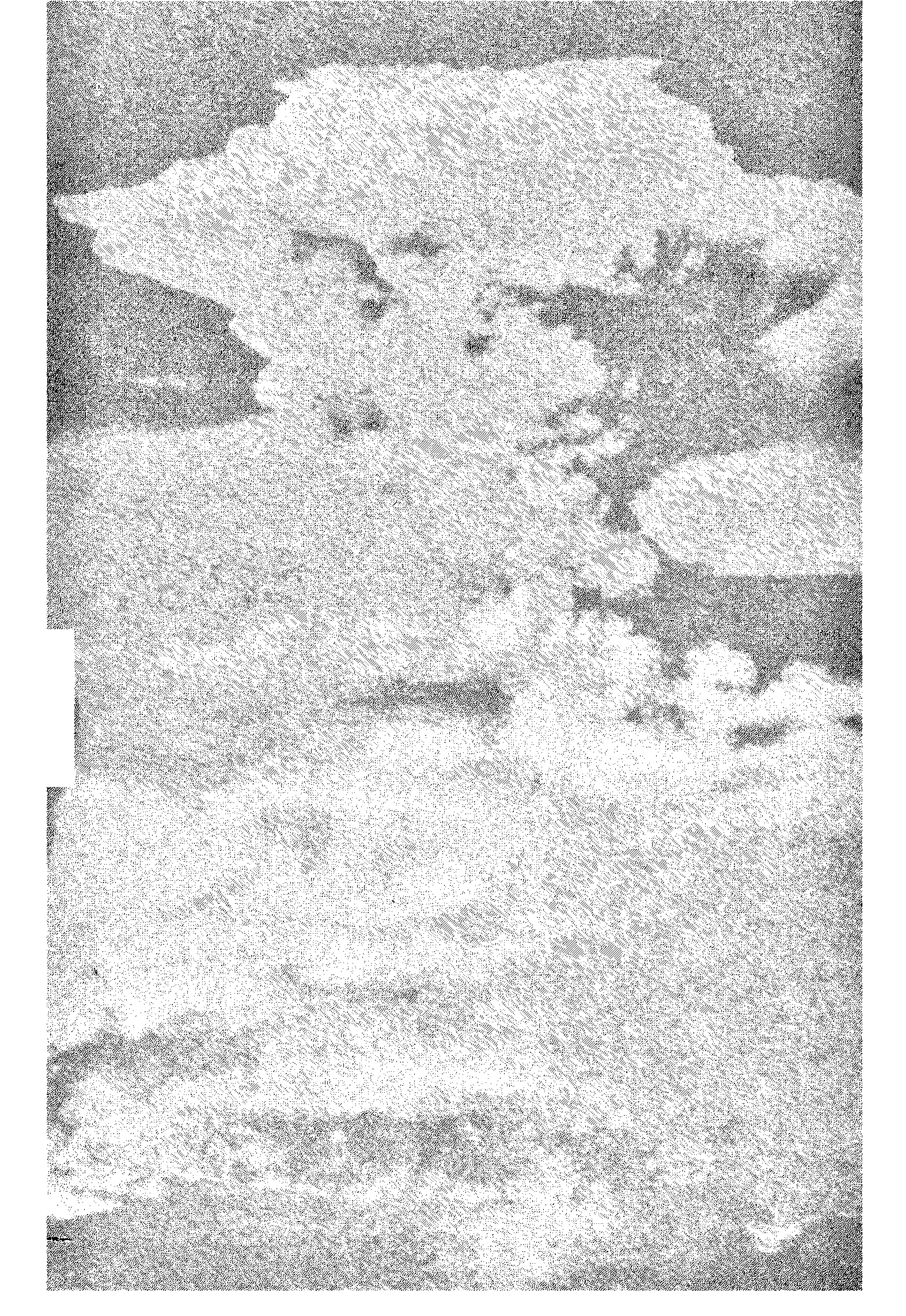
طارق فودة



من دمار القنبلة الذرية

هذه صورة حية لاول قنبلة ذرية القيت على الارض . . كان هذا في الساعة الثامنة والربع من صباح السادس من اغسطس ١٩٤٥ . . وعلى ارض هيروشيما . . القتها طائرة امريكية بهدف إنهاء المقاومة اليابانية ودفع دول المحور إلى الاستسلام . .

وتصاعد الدخان الكثيف لينحصر هكذا بين جبال هيروشيما السبعة . . ووراء هذا الدخان . . وتحته دمار كثير ! . .



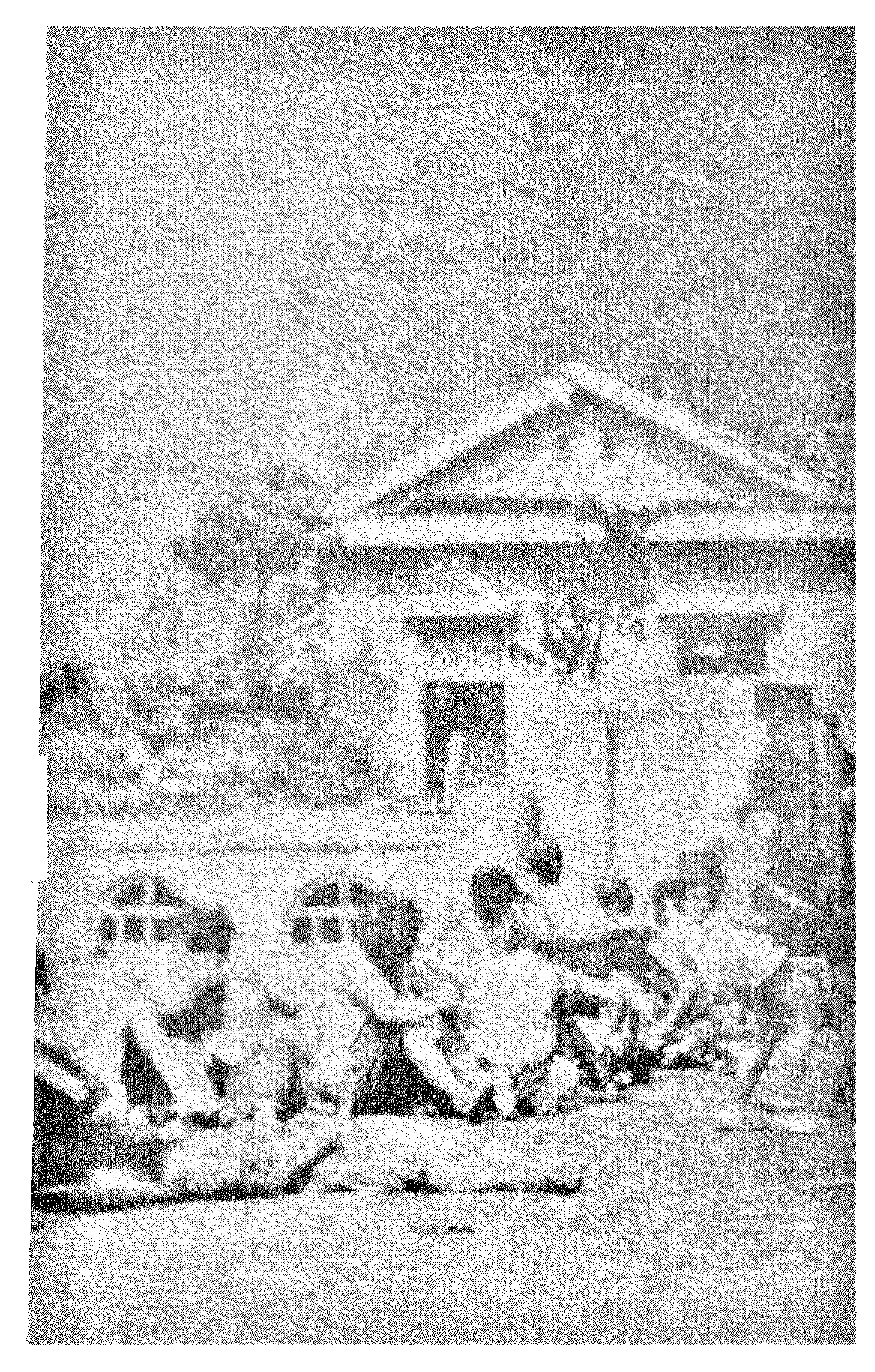
الدمار :

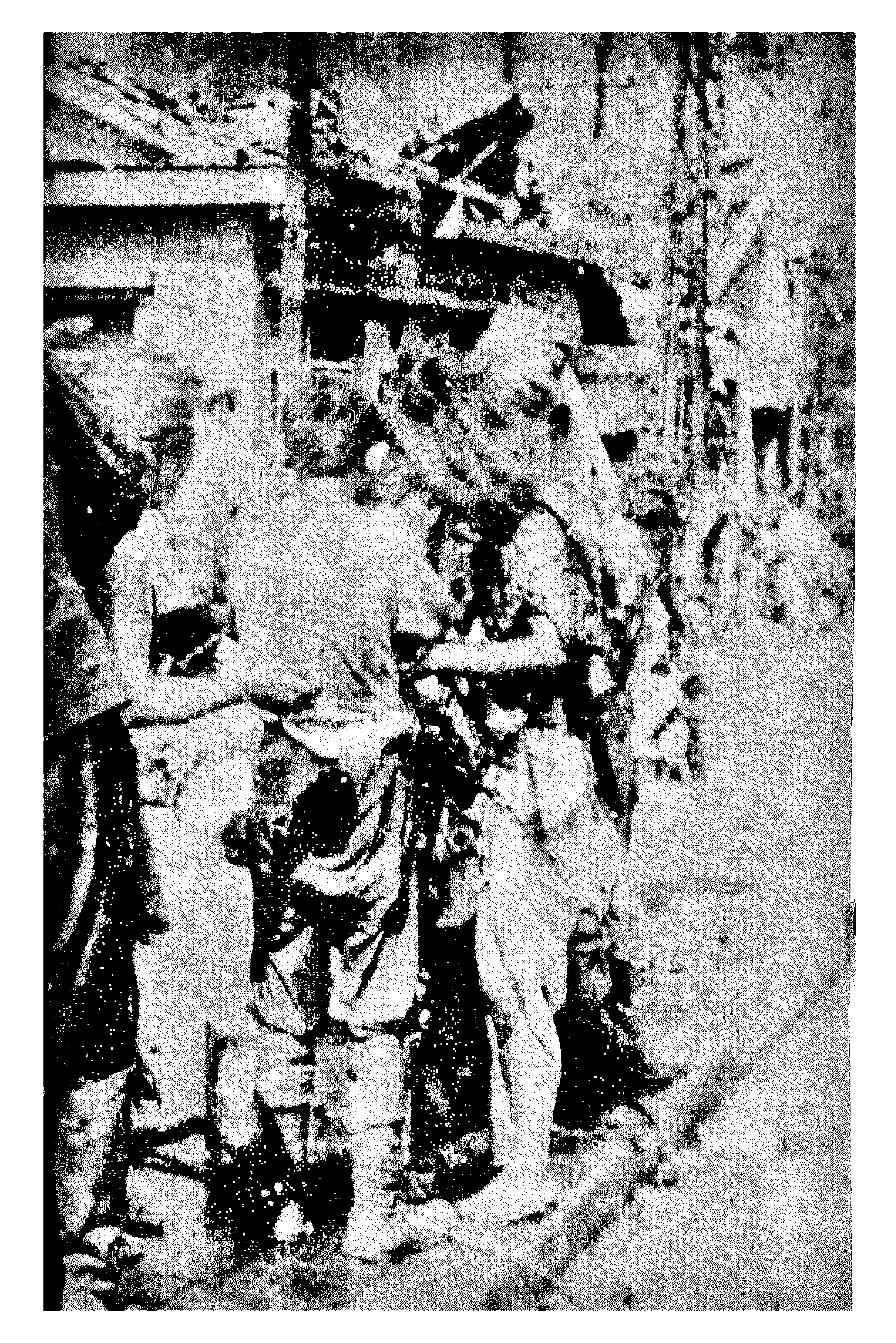
في محيط كيلومترين مربعين . . أصبح كل شيء مساو للأرض تماما ، كان إسم هذا الحى الهيبوسنتر . . فوقه القيت القنبلة وعلى ارضه حصدت ١٧٠ الفا من ارواح الشهداء ! . . واختلطت اسلاك الكهرباء باشلاء القتلى وارتفعت ايديهم كانها تحفر في الهواء بحثا عن شيء من الهواء ! ! . .



دعونا نطفىء الحريق :

.. رغم الجـروح .. والآلام المبرحة .. رغم العذاب والخراب فما زال هناك يد ضعيفة تعمل على إطفاء الحريق .. وقد رقد الضحايا على الأرض ، ومال المصابون على الرصيف ، هكذا كانت الصورة غير بعيد من الهيبر سنتر في هيروشيما

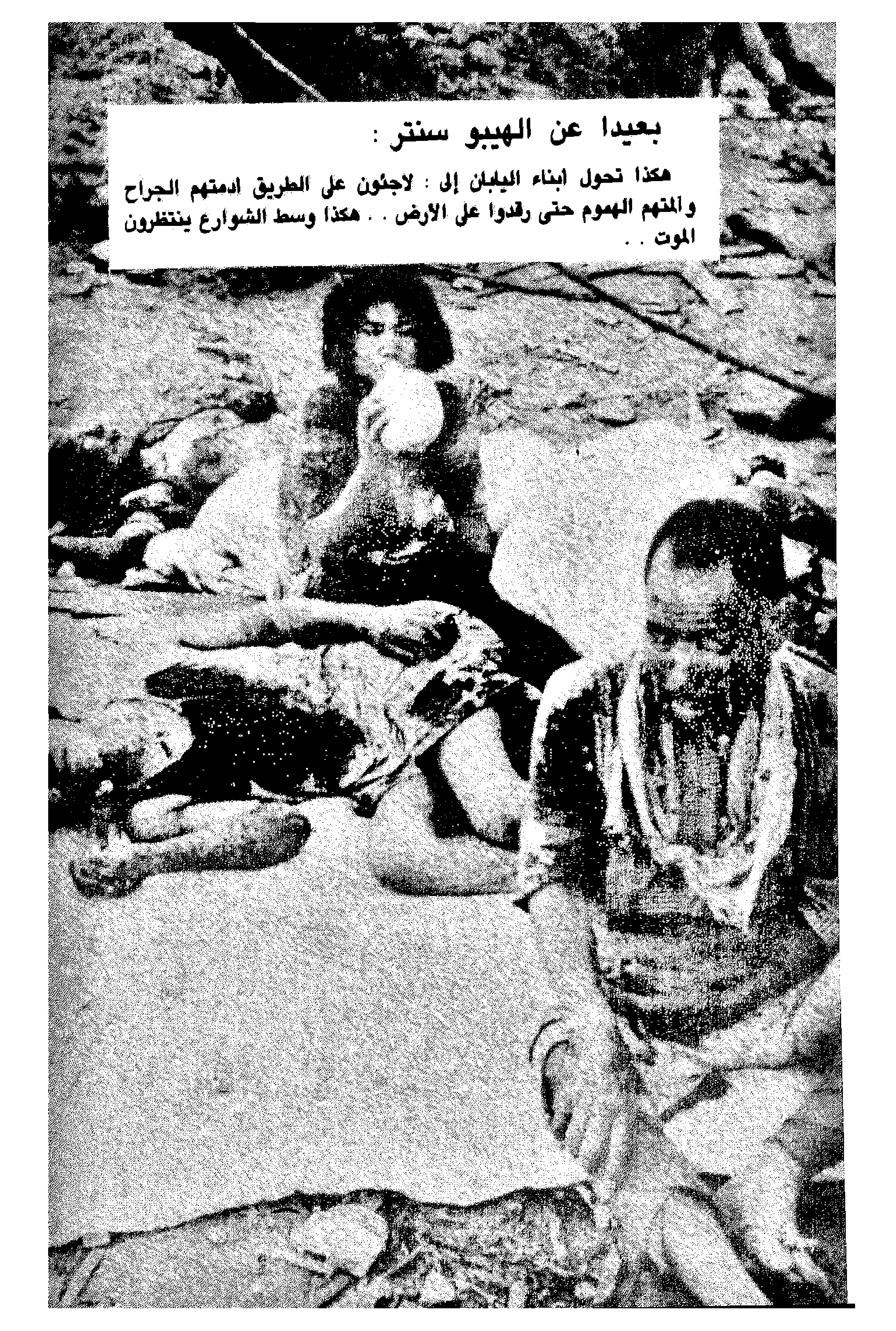




ولنعالج بأنفسنا جروح بعض

واحد من الجنود المتماسكين ، جرى إلى إحدى المدارس القريبة ، كان يعرف أن بها إناء لزيت الطبخ . . أحضر الزيت ، وراح يعالج بها جروح ابناء بلدته . . ثم يعالج بعضهم بعضا كل من يستطيع أن يرفع ذراعه وأن يحركها كان يغمسها في الزيت ليمسح بها جروح الآخرين .





بعيدا عن الهيبو سنتر :

هكذا تحول ابناء اليابان إلى : لاجئون على الطريق ادمتهم الجراح وآلمتهم الهموم حتى رقدوا على الأرض . . هكذا وسط الشوارع ينتظرون الموت . .



هكذا كانت الاسرة تمضى على عجلة يد . . تتلقى العلاج فى مركز العلاج ثم تعود . . إلى اين ؟ . . إلى حيث العراء . . واللاماوى . . وانتظار الهلاك مع الهالكين . . لكن شعب هيروشيما لا يموت . . لانه وقف جنبا إلى جنب يساعد القوى منهم الضعيف . . ويضمد السليم جراح المصلب . . حتى كانت العودة . .





وقبل ظهر العاشر من أغسطس . . وقريبا من قضبان الترام فى هيروشيما ، وبعيدا عن الهيبو سنتر بقرابة كيلومتر ونصف وقفت الفتاة وأمها حيث مرت سيارة الطعام لتعطى لكل منهما كرة من الأرز المسلوق . . حتى تستمر الحياة .



تم . . تسجيل الأسماء

أسماء الجرحى والمصابين وتوجيههم إلى أقرب نقطة إسعاف أقامها الجيش الياباني أو أطباء اليابان . . والذى يقوم بالتسجيل هو نفسه في حاجة إلى أن يكون على رأس القائمة . . لكنه التفانى من أجل الوطن . . وحتى آخر لحظة . .



وجماجم اليابانيين على أرض هيروشيما :

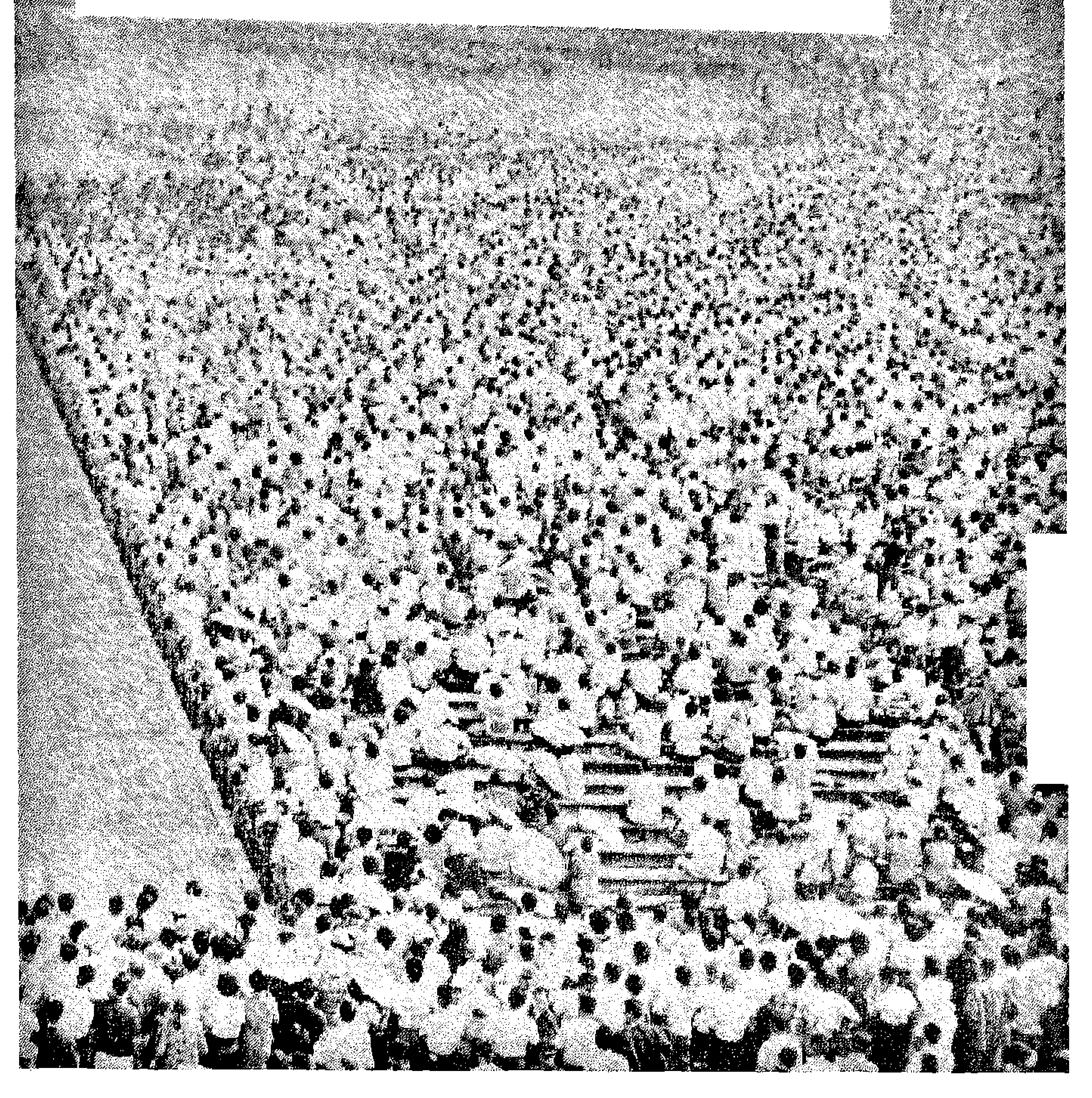
حيث كانت تحرق الجثث . . فلا تفسد ولا تنهى حياة البلدة إلى الأبد . . وفى مقبرة جماعية كانت توضع بكل إحترام وفوقها . . وبعد أن هدأت الجراح ، وضعوا تماثيل مختلفة لالهة الرحمة . . وأصبحت بعد سنوات ، مزارا لكل أبناء الدنيا . .

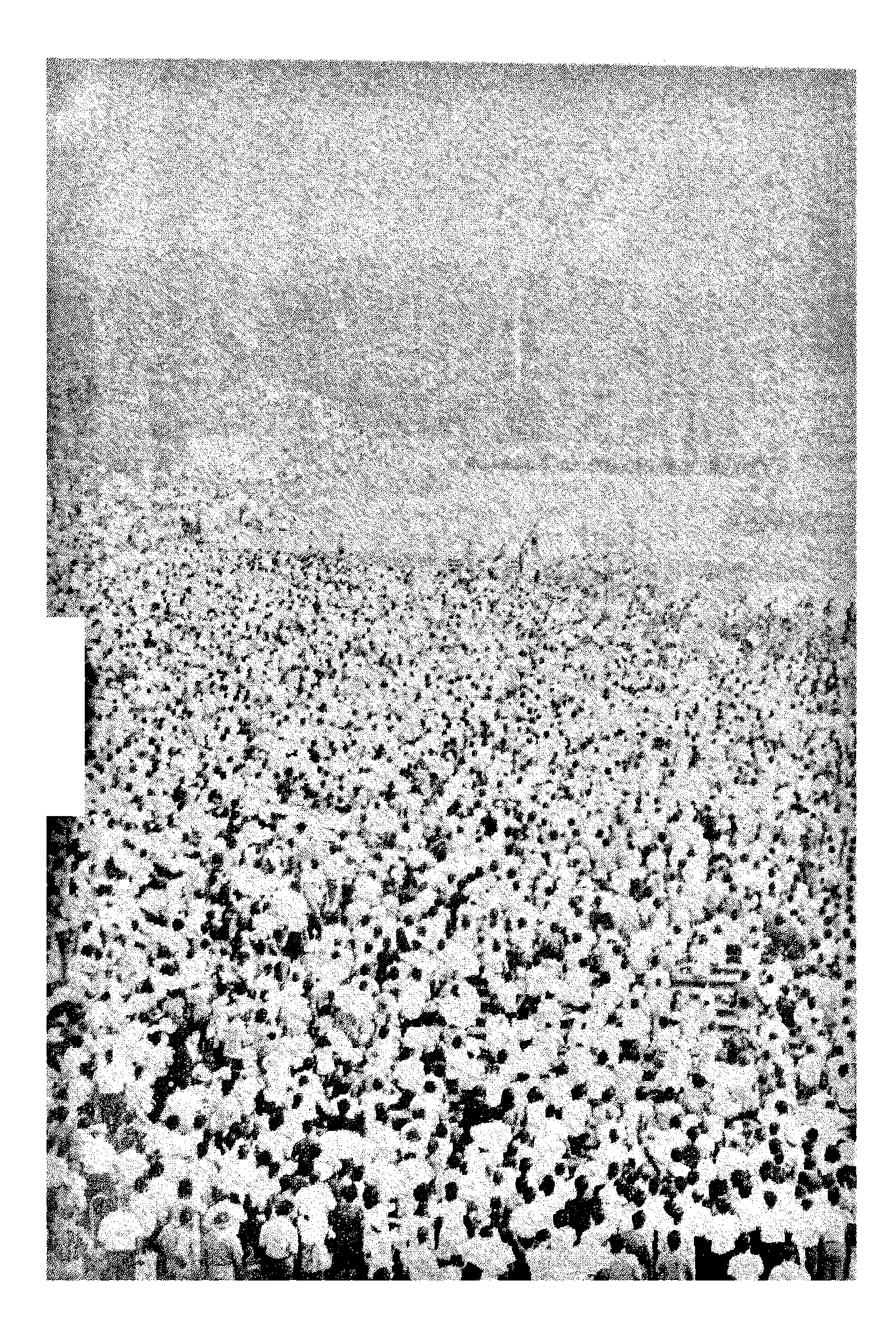
ولن تنسى اليابان مأساتها :

هذا هو وفاء شعب هيروشيما

فى يوم الذكرى . . امام قبر الشهداء هناك تحت القوس ونافورة المياه التى لا يتوقف ماؤها ابدا رمزاً لتلك الاجساد التى كانت تنادى طالبة الماء . . وخلف هؤلاء الآلاف الذين يقفون . . يدعون ويصلون . . يوجد متحف هيروشيما الذى يحتوى على نماذج من الشمع لكل أحداث ذلك اليوم الرهيب . .

هذه هى المنطقة ذاتها التى القيت عليها القنبلة ، ودمرت تماما . . وقد ظهرت فى أقصى الصورة . . هناك . . المبنى الخرسانى الوحيد الذى ظهرت قبته . . شاهدا حيا على ما كان ! . .







« الأهداء »

إليك ياأبى
وأنت ترقد
فى عالم الغيوب
إليك ياأبى
فأنا أعلم كم أكتويت
بنار الخطوب
وويل الحروب
وطفلك الذى غاب
وطفلك الذى . . لن يؤوب

● ● ●

إلى كل أطفالنا الأبرياء
هذه دعوتى ، لعلها
تسمع الدنيا ، أو
تحيى الرجاء . .

« طارق فودة »



محتويات الكتاب

هيروشيما . . لماذا . . ؟

* الأهداء . .

* الطريق إلى اليابان . .

* الفصل الأول :

---

* على قضبان الحديد بقبقاب من الخشب :

قصة العملاق الياباني الذى رماه الناس جميعا بالتخلف فراح يدق الأرض بقدميه ويصنع من قطع الورق الملون الصغيرة أشكالا فاقت فن « فان جوخ » . .

* الفصل الثانى :

---

* ليس حبا فى اليابان ولكنه عشق لكل تفاصيلها :

الوصول إلى طوكيو ، الحياة فوق الأرض وتحت الأرض ، الحركة اليومية والمطاعم الصغيرة ـ كيف تختار طعامك فى اليابان ، أطفال اليابان يتحركون وحدهم تحت الأرض ، الشارع اليابانى لا تنقطع الحركة فيه . . لقاء مع وزير الخارجية فى المساء . . هنا لا يتوقف العمل

* الفصل الثالث :

* كيوتو . . أو الضرب فى جوف التاريخ :

العاصمة القديمة - والوصول إليها - قطارات اليابان وكيف تعمل . . التليفون فى عربات القطار يوصلك إلى آخر الدنيا . . معابد اليابان وكيف يصلى الجميع . . الحرير اليابانى والصناعات الدقيقة . .

* الفصل الرابع :

* قمة التكنولوجياوفكر الرجل :

الوصول إلى اوزاكا . . مصانع اليابان العملاقة ، وكيف يصنعون الأليكترونات المتقدمة . . مكان الرجل ومكانة المرأة فى اليابان - ربع ساعة راحة فقط . .

* الفصل الخامس :

* هؤلاء اليابانيون . . حيرونى :

شباب اليابان . . كيف يفكر فى الحرب والسلام . . كيف يعمل وكيف يلهو . . الرباط المقدس بين القديم والجديد . . كيف يفكر الأباء وكيف يطيع الأبناء

* الفصل السادس :

* الربيع . . وزهرة القنبيط :

جو اليابان . . وكل ما ينمو فيه . . أسعار المنتجات اليابانية والحرص اليابانى وكيف يحسبون للخطوة الواحدة الف حساب . .

* الفصل السابع :

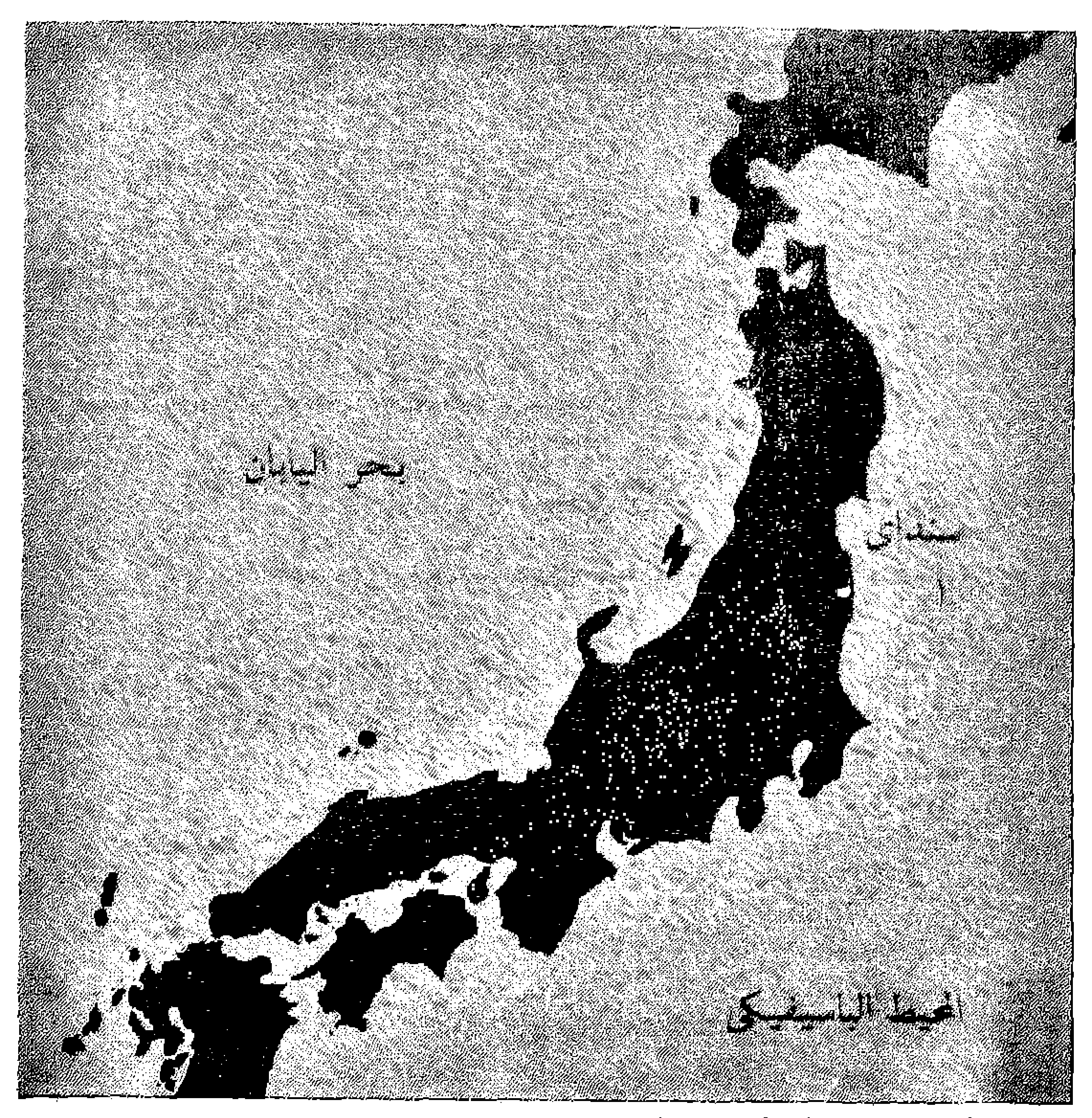
* ديزنى لاند طوكيو . . المعركة الأخيرة :

مدينة ملاهى فى العالم تفتتح فى ضواحى طوكيو فى ربيع ٨٣ ، والمعركة الاقتصادية بين اليابان والولايات المتحدة الامريكية من ناحية واليابان وأوربا من ناحية أخرى ومن الذى ينتصر ؟ . .

* الفصل الثامن :

* وأشرقت الشمس على هيروشيما :

ماذا حدث فى ذلك الصباح اللعين من اغسطس ١٩٤٥ . . ماساة اليابان أو ملحمة البطولة . . هيروشيما تصحو من جديد . . وتسقط قنبلة اقتصادية كل يوم على رأس أمريكا . .



هكذا رسموها فى وسط الدنيا . .

إلى اليمين المحيط الباسيفيكى وهو المحيط الذى تطل عليه الولايات المتحدة الأمريكية من ناحية الغرب ـ كاليفورنيا وبين امريكا وبين اليابان تقع جزر هاواى الشهيرة . . وتحت اليابان تقع الفلبين ثم تكون استراليا إلى أسفل ـ يسار ونيوزيلند وغيرها .

وإلى يسار اليابان مباشرة يكون الاتحاد السوفيتى . . وهناك اربعة جزر ما يزال السوفييت يحتلونها منذ الحرب العالمية الثانية . . وباعتبار ان اليابان كانت من أهم دول المحور حليفة لألمانيا . . ثم تكون آسيا . . والصين . . ومن هنا كان وضع اليابان خطيرا بين امريكا من ناحية اليمين . . وروسيا من ناحية اليسار .

ولكن على اليابان تشرق الشمس . . بمعنى ان اليوم يبدأ عندها اولا . . عندما تكون امريكا وهى إلى شرقها ما زالت فى عصر الأمس . . وتكون مصرمثلا بعدها بتسع ساعات . . وإنجلترا والمانيا وفرنسا وإيطاليا بعدها بعشر ساعات . . وبالتالى يكون شرق امريكا بعدها بست عشرة ساعة ! ! . .

« الطريق الى طوكيو »

بانكوك . . هى الباب الطبيعى لكل أطراف آسيا . .
وهى العمق الحقيقى لكل سحر الشرق بما فيه من متناقضات . .
أنا الآن أقف وسط الخضم الحقيقى للملايين الأسيوية الهائلة . .
للصراعات الدامية التى لم تتوقف على أمتداد القرن العشرين . .
فالى الشرق مباشرة تقع فيتنام . . شريط طويل على امتداد الحدود الشرقية لتايلاند ، ثم يتركها جنوبا ليلامس نفس الحدود مع كمبوديا . . حيث يجرى الصراع الآن على السلطة ، وقد تركها الأمير سيهانوك ليستقر فى العاصمة الصينية . .
والى الغرب ، القارة الهندية كلها بكل صراعاتها . . بنجلاديش ، الى الشمال الشرقى . . باكستان الى الشمال الغربى . . والجحافل الهندية وسط شبه الجزيرة التى هى أشبه بالدلتا الكبيرة التى قلبت رأسا على عقب . .
الجنوب هو ماليزيا وأندونيسيا وغينيا الجديدة وأستراليا والشرق البعيد شيئا ما هو الألف مليون صينى . .
ثم . . تكون الأطراف البعيدة للقارة الأسيوية تنتهى بكوريا . . وجزر الفلبين . . و . . الجزر اليابانية . .
لسبب ما ، لا تعبر الطائرة اليابانية أرض القارة ، والقارة هنا هى الصين . . الدولة الأم لكل هذه البلاد والحضارات . . ولكن تطير محاذية لسواحلها حتى تدخل الى بحر اليابان . . وطوكيو . .
والمسافة بين بانجوك وطوكيو ست ساعات أو أكثر قليلا . .
ولكن المسافة الحضارية بين هذا العالم الأسيوى وبين طرفه الأقصى . . الجزر اليابانية ، يقاس الآن بعدة مئات من السنين . .

● ● ●

على قضبان الحديد

بقبقاب من الخشب

من يمشى هذه المسافة ؟ . .
كل انسان يستطيع . .
وهذا ما أثبتته الشخصية اليابانية . .
تخيل . فقط شابا آسيويا من الجنس الأصفر ، ولد على ارض آسيوية . . راى نور الحضارة أمامه . . والطريق المرسوم تحت قدميه . . فراح يمشيه . . لم يكل ولم يتعب . . جمع أطراف المعرفة قطعة قطعة . . ولم تفقد قدميه آثار الطريق ، حتى وصل . .
هذا هو « ياماشتا كيوشى » . .
أو العملاق اليابانى الجديد . . كما صوره الفيلم الذى تفرغنا له على مدى اكثر من ساعتين فوق السحاب بين بانجوك وطوكيو . .
وياماشتا . . طفل يابانى ولد فى أسرة عادية فقيرة . . مات ابوه . . أدخلته امه المدرسة . . فلم ينجح . .
بدات بوادر التخلف تظهر عليه . . على وجهه وفوق معالم راسه كلها . . كان راسه يكبر قليلا قليلا . . حتى أصبح اكبر من الحجم الطبيعى . . راح جسمه يكبر وينمو ايضا . .

وفى مدرسة خاصة للذين يواجهون مشاكل فى التعليم ، راح ياماشتا يخلق المشا
أن ذهنه كله منصرف الى اللعب ... نوع خاص من اللعب . .
هو : وضع قطعا صغيرة من الورق الملون الى جانب بعضها البعض ، يلصة
فتخرج منها صورا معينة . .
ما هذا اللعب واللهو الذى أنت منغمس فيه ؟ . . هكذا صـاح ا
اساتذته . .ضربوه . .
هرب ياماشتا كيوشى ، بالثوب البسيط الذى يستر جسمه . . والقبقاب الخشب
الذى يرتديه . . ولكن الى أين ؟ . .
أنه لا يعرف . . .
ولكن قضبان السكة الحديد خلف المدرسة . . لا بد أنها تذهب الى مكان معين
بعيد أو قريب ، إذا فلأذهب أنا اليه . .
وهكذا مضى ياماشتا . . على قضبان السكة الحديد . . ولكنه وجد نفسه وسط ق
صغيرة . . لا يعرف أحدا فيها . . إنه جائع . .
دق أحد الأبواب . . فتحت له السيدة . . قال :
أنا وحيد فقير . . أمى ماتت . . وقبل أن تموت أمرتنى بأن أدق بابك وأن أ
اليك بعض كرات من الأرز المسلوق . . فأنا أحب الأرز المسلوق . .
وعطفت عليه السيدة . . أعطته صحنا كاملا من الأرز المسلوق . . راح ياما
كيوشى يأكل . .
وسألته السيدة :
— ولكن من أين تعرفنى أمك ؟ . .
ولم يرد ياماشتا . .
كان يكذب . .
القصة كلها من صنع الخيال . .
وواصل السير على قضبان السكة الحديد . .
فى قرية أخرى أخذوه . .
هذا الصبى له جسم كبير وقوى . .
اشتغل حمالا . .
واشتغل طباخا . . وأشياء أخرى أقل شأنا . . ولكنه كان فى نهاية الليل يـ
بالتهام أطباق الأرز المسلوق .
وبعد بحث عنه ، وبكاء شديد ، وجدته أمه وصديقها المدرس . .
ومرة أخرى وضعوه فى المدرسة . . ولكنهم تركوه هذه المرة يصنع ما يشاء

وراح يلصق القطع الورقية الصغيرة الملونة بعضها الى جوار بعض . . ويصنع صور . . يخلق الأشكال . .

وهمست أمه فى أذن المدرس :

— ألا يمكن أن يكون هذا الذى يصنعه ولدى شيئا من الفن ؟ .

وابتسم المدرس .

ولكن ، ليرضى الأم استدعى أحد الفنانين من أصدقائه . . وربت الفنان على كتفى ماشتا وهو يحلق فى صوره ، وقال لأمه : قدمى له المزيد من الأرز . .

وبعد أيام كان هذا الفنان الصديق يصطحب فنانا كبيرا آخر ، ويطلعه على أعمال ماشتا . .

● اننا نطلب الأذن منك فى أصطحاب ياماشتا . .

— الى أين ؟ . .

سألت الأم .

● هذا المكان غير لائق به . . إننا نضعه فى بيت أكثر احتراما ، وجو أكثر شاعرية . .

ووضعت الأم يدها على فمها الفاغر دهشة وقالت فى نفسها :

— أيمكن هذا . . أيمكن أن يكون . .أبنى . . فنانا حقيقة . . إنه . . لا ، لا أريد أن أقول إنه متخلف . . وجهشت بالبكاء . .

وأخذوا الأبن . .

كل همه فى بيته الجديد هو الأرز والرسم . . ليلا ونهارا . .

حتى كان اليوم المحدد . .

— يا الهى أنه النسخة اليابانية من فان جوخ ! .

وبكت الأم بسعادة . .

وبكت الأم اشفاقا على ولدها غير الطبيعى الذى ركلوه بالأقدام ، ووضعوه فى مدرسة الذين يواجهون مشاكل فى التعليم . .

ولكن النمو الفنى كان سريعا أيضا .

وضغط الفكر على رأس ياماشتاكيوشى كان أكثر مما يتحمل . .

ورقد الأبن أمام أمه فى فراش الموت . .

وهمست فى أذنيه غير الواعيتين وبعينيها الدامعتين وهى تربت رأسه وشعره :

— كل أم لها ولد يواجه مشاكل تتمنى دائما أن يموت أبنها قبلها ولو بيوم واحد حتى تطمئن عليه . .

إلا أنا . . فقد جعلتنى أفخر بك . . وكنت قادرا أن تقف على قدميك وحدك !

* * الفصل الثانى * *

ليس حبا فى اليابان
ولكنه عشق لكل تفاصيلها !

هنا وطأت الطائرة اليابانية أرض طوكيو . .

هذه هى المرة الأولى التى أحضر فيها الى اليابان .. الطريق الى داخل مطار ناريتا أحدث مطاراتها طويل . . فى كل دقيقة تهبط طائرة . . آلاف القادمين بانتظام . . إذا تصورت أنا أن اليابان هى نهاية المطاف فى هذه الدنيا ، الى المشرق ، فان آخرين يعتبرونها نقطة وسطا بين الولايات المتحدة الأمريكية اسيا . .

عشرات المكاتب المفتوحة على امتداد خط واحد لتلقى الطوابير الداخلة ، لختم جوازات السفر ، وإعطاء بعض الأوراق الارشادية . . ثم . . السلم يهبط بك الى حيث تتسلم حقائبك وتغادر ارض ناريتا . . الى قلب طوكيو . .

والطريق طويل طويل . . ثمانون كيلو مترا عليك أن تقطعها وسط المر
المزدحم والبوابات التي توقفك من حين لآخر لتدفع رسم الطريق ، حتى لو كا
سيارة حكومية هذه التى تركبها . . فالحكومة شىء ، والاقتصاد شىء آخر .
هكذا الحال فى اليابان . .
الاقتصاد أولا ، والاقتصاد أخيرا . .
وبين هذين البندين يندرج كل شىء ! ! ! . .
وطوكيو ؟ . .
ماذا استطيع أن أقول عنها ؟
مدينة جميلة ؟ . . لا . .
ولكن هناك آلاف الآراء والأفكار والصور مما يمكن أن أقولها عن طوكيو . .
تكون كل فكرة على حدة ، فكرة جميلة . . وكل صورة وحدها هى صورة را
ولكن . . « ككل » . . تدفع الى مزيد من التأمل والتفكير . .
نعم . . فى طوكيو اماكن جميله . .
ولكن اية أماكن فيها . .
طوكيو مدينة كبيرة كبيرة ، وممتدة على امتداد البصر . .
وهى مدينة منظمة جدا .
وكلما وصلت الى مكان ، قالوا لك : انت هنا فى وسط المدينة . .
إذن . . فالمدينة لها أكثر من وسط . .
لأنها تكاد تكون متشابهة . . وممتدة على امتداد هذا التشابه . .
المدينة كلها هى العاصمة . . وكل قطعة فى هذه العاصمة مهمة . . وكل
منها به عدد من الفنادق الهامة جدا وعدد من المحلات التجارية الهامة أيضا و
من الوزارات أو المؤسسات الاقتصادية التى هى بالفعل أهم من كل الوزارات
قصر الامبراطور هيروهيتو . . رمز الدولة ومحور التفكير فيها يحتل ربوة
عالية من قلب المدينة . . وحول القصر ، الحدائق الامبراطورية . .
وكذلك قصر الأمير ولى العهد . . وله حدائق أيضا . . وقد تكون هذه
حدائق وسط المدينة المترامية الأطراف . .
ومن الصعب أن تجد حدائق أخرى فى المدينة . . مثل الحدائق التى تر
مترامية فى لندن أو فيينا أو فى اى مكان آخر من أوربا . .
فالأرض هنا غالية الثمن . . مرتفعة التكاليف والمتر الواحد يساوى مالا كث
ومن أجل ارتفاع الثمن هذا فان هذا المتر المربع يجب أن نعيش فوقه ، أو نع
تحته . . وأن نتشعلق على أرتفاع معين منه . .

نعم . . فوق الأرض تبنى البيوت ، والمصالح الحكومية والفنادق والمحلات العامة . .

وتحت الأرض نمشى ، أو نركب المترو السفلى (تحت الأرض) أو نتناول طعام الغذاء والعشاء . .

● ● ●

تائه تحت الأرض

واحب جدا أن أبدأ بـ تحت الأرض . .

هنا فى طوكيو . . تحت الأرض ليس له مثيل فى العالم . .

هنا تجرى حياة كاملة . .

فى قلب فيينا ، وتحت بعض محطات الترام فى قلب العاصمة النمساوية يوجد مجموعة كاملة من المحلات والمطاعم والقهاوى . . فى منطقة واحدة أو أكثر . .

هنا فى طوكيو توجد هذه المحلات جميعاً . . والمطاعم فيها متجاورة جدا . . وليس فى منطقة واحدة وانما فى كل المناطق فى أى مكان تحت الأرض . . حتى أنك تتصور أن تحت أرض طوكيو فعلا توجد مدينة أخرى ممتدة . .

فى شوارع المشى فى فيينا وميونخ وكولون ودسلدورف وباريس توجد بضائع تباع على عربات فوق الأرض . . هنا فى طوكيو توجد هذه البضائع كلها أمام المطاعم . .

أعداد غير معقولة من التليفونات . . معدة لاستخدامك فى أى مكان . .

ودورات المياه النظيفة جدا المنتشرة تحت الأرض . . أقول النظيفة جدا لانها أنظف من أى مكان آخر فى العالم . . نعم حتى اذا كانت دورات المياه فى المانيا والنمسا وأمريكا وسويسرا نظيفة . . هنا فى اليابان أنظف مما تتصور أنت كيف !

● ● ●

غذاء من الشمع

المطاعم تحت الأرض ارخص من المطاعم فوق الأرض . . ربما بنصف القيمة . . وكلها تضع على نوافذها أو فى مداخلها الأطباق التى تقدم . . سواء كانت من اللحم أو السمك أو الجمبرى مع الأرز أو الخضروات . . الى غير هذا . . وكل هذه الاطباق التى لايمكن بالعين المجرده أن تفرق بينها وبين الاطباق الحقيقية كلها مصنوعة من الشمع . . غاية فى النظافة . .

لا يعنى هذا انك ستأكل الشمع . ولكن فقط من اجل الاختيار . . مع السعر الذى يناسبك . .

هذه الاطباق . . تترواح دائما بين ٨٠٠ ين يابانى (٤ دولارات) و ٢٠٠٠
يابانى (عشرة دولارات) . . ومرة أخرى هى هنا أرخص من محلات فو
الأرض ، والسعر لا يتناسب أبدا مع الاسعار داخل الفنادق الكبرى . .
بين الساعة الثانية عشرة والساعة الواحدة ظهراً هو موعد الغداء والنصي
هنا ، أن تحاول الدخول قبل الثانية عشرة ولو بخمس دقائق لانه سيكون
الصعب أن تجد مكاناً لنفسك بعد هذا . .

هذا شعب يعمل . .

والوقت عليه ألف رقيب . .

ومعنى أن الوقت للغداء بين الساعة ١٢ والساعة الواحدة ظهراً أن كل شي
كل واحد فى هذه المحلات يقف على قدم وساق استعداداً للحشود القادمة
المقعد الذى تجلس عليه ليس مقعداً وثيرا ، والمنضدة امامك لاتتسع لأكثر
اطباقك . . فهناك من سياتى ليجلس الى جوارك ، وهناك من سيأتى ليج
امامك .

وعلى هذا فالمكان محسوب . . لا يزيد عن اربعين سنتيمترا . . لست أدري
كان هذا القياس قد اتخذ باعتبار حجم اليابانيين انفسهم أو بالقياس إلى ال
ذاته - الذى يقاس بالشبر والسنتيمتر . .

اول ما يوضع أمامك على مائدة الغذاء أو العشاء هو : الماء . . الماء القرا
ومرة أخرى هنا تختلف اليابان عن دول العالم جميعا ، إنهم لا يسألونك ع
تجلس إلى المائدة : ماذا تشرب ؟ . . لأنهم يقدمون الماء ، ولأنهم أيضا يشر
الماء المثلج فقط . ونادرا ما نجد من يطلب شرابا آخر ، هذا على الموائد الغرب
او ما يقال عنها غربية . . وهذه المطاعم جميعا فى نطاق الحياة الغربية لأ
العشرين فى ربوع اليابان . وهى تختلف تماما عن المطاعم اليابانية الأصلية ا
تقدم الأطعمة اليابانية ، ولها أماكنها أيضاتحت الأرض ، كما أن لها أما
المتعددة فوق الأرض وفى المبانى الضخمة . .

صورة الحياة تكتمل تحت الأرض . . بكل أنواع البوتيكات أو المكتبات
غيرها والجميل فى هذا كله أنك لا تحس انك تحت الأرض وانما الهواء عال
والحركة دائمة والنشاط لا ينقطع . .

سلالم كبيرة كهربائية تقودك من أى مكان الى السطح . . حيث شـ
اليابان المشرقة . .

وقبل أن اترك المكان تحت أحب أن أعطى صورة اخرى أكثر اشراقاً للد
عند محطات المترو . .

كل شىء بنظام . . وبدقة متناهية . .
القطارات منتظمة ، وأكثر من كافية ، ولا تنقطع . . تأتى فى موعدها تماماً . . فى مكانها تماماً . . والمكان كله مضىء بنور ساطع . . امامك التوجيهات كلها باللغة الانجليزية . . وحتى لا تنحدر الى نهر القطار أو المكان المخصص للقطار بالارصفة تجدها دائماً محفوفة باشياء أشبه برؤوس المسامير الكبيرة . . حيث تنبهك أو تنبه الأطفال : خذ حذرك : لا تطأ هذا المكان . .
رؤوس المسامير بعرض ٤٠ سنتيميتراً أو ازيد . . ولكن هناك اجزاء منها بعرض عشرة سنتيمترات فقط . معنى هذا أن باب القطار أو المترو سيفتح هنا . . وأمام هذا المكان تستطيع أن تقف . . هكذا الحرص وهكذا الامان المطلق . .
القطارات كثيرة حتى فى ساعات الذورة ، فلا زحام ، ومترو تحت الأرض هذا افضل الوسائل للانتقال من مكان الى آخر . . والا فالويل لك اذا اضطررت الى الطرق العلوية . .
الصورة التى لا أنساها : حركة أطفال المدارس الصغار بدءاً من ست سنوات الى سنوات أكبر وهم تحت الأرض قادمون من المدرسة ومتجهون الى البيت أو العكس . . هذا شعب يحترم الصغار ويحترم الكبار . . ويحترم المعوقين قبل هؤلاء واولئك . . وللمعوقين قصة أخرى . . حول محطات المترو تجد كل ما تحتاجه لنفسك أو لبيتك . . اذن لا مشكلة . . من رغيف الخبز الى الدواء إلى غيرها من الاحتياجات العاجلة للبيت ، ومن هنا لا يضطر صاحب المسئولية الى الخروج الى سطح الارض الا عندما يصل الى المكان المحدد له . .
بقى شىء واحد : تذكرة المترو تتراوح بين ٦٠ يناً يابانياً حتى مائتى ين يابانى ، وهو حسب المحطات التى تركبها وعددها . .

● ● ●

الخروج الى شوارع طوكيو

أى سلم كهربى ينقلك الى سطح الأرض . .
والشارع اليابانى يختلف عن شوارع الدنيا . .
من النادر أن تجد مطعماً فوق الارض . .
ولكن كثيراً ما تجد المطاعم الصغيرة فى المحلات متعددة الادوار . . وليس من الضرورى أن يكون هذا المحل ، أو المتجر المتعدد الأدوار متجراً واحدا . وانما

من الممكن أن يكون عدة متاجر . . عدة بوتيكات متناثرة بين الأدوار المختلفة وتشكل في مجموعها محلاً تجارياً كبيراً أشبه بالمحلات الأخرى ذوات الأد المتعددة . .

ويكون هذا النوع من المتاجر في الأماكن المزدحمة من المدينة والاماكن المزدحمة هي غالباً النواحي التجارية فيها في كل وسط أو ملتقى من نقاط التقاء طوكيو وهي كثيرة جداً . . أما غير نقاط الالتقاء فهي أماكن المصالح الكبيرة والصغ وغيرها . . والحكومة أو مباني الحكومة تضيع ببساطة وسط هذه المصالح لان الاساس مرة أخرى هو الاقتصاد . . والحكومة اليابانية ليست الا مؤسسة سياسية تعمل لصالح اقتصاد اليابان . .

الشارع اليابانى لاتنقطع الحركة فيه أبدا . .

لا يوجد ما يعرفه الاوربيون والامريكيون بيوم الأحد . .

بعض المحلات تغلق ابوابها يوم الأربعاء . . ولكن ليست هنا قاعدة . . في شارع اليابان ألا تنقطع الحركة فيه . .

والمهم في اقتصاد اليابان أن تظل دائماً مفتوحاً . .

وابعد من هذا . . المحلات كلها تفتح ابوابها حتى العاشرة مساء وقد ت محلات تفتح أبوابها بعد هذا الموعد . .

ومثل المحلات . . دواوين الحكومة . .

عندما طلبت لقاء وزير خارجية اليابان المستر ساكر أوتشى تحدد الموعد الساعة الخامسة والنصف مساء وبقيت معه حتى السادسة والنصف . طريقى خارجاً من صالون الوزير وجدت كثيرين في انتظار لقائه ومجموعة المديرين يحملون أوراقا . .

وسألت :

* هل يبقى الوزير بعد هذا في مكتبه :

وأجابنى أحد المديرين الذين صحبونى :

— الوزير يبقى في مكتبه حتى ينتهى العمل . .

وهذا هو الاساس . .

ومرة أخرى قفزت الى رأسى الفكرة : حتى وزارة الخارجية اليابانية مؤسسة اقتصادية ، طالما كان هناك طلب ـ كان العمل قائماً . . والانسان ملك للعمل ولا يك العمل ملكا للانسان . .

● ● ●

طوكيو مدينة كبيرة

ولا يمكن للانسان أن يجمع فى مقال واحد أو عدة مقالات كل شىء عن طوكيو . قد يتهمك البعض بأنك أصبحت مواليا لليابان أو متأثرا بها غاية التأثر أو تفضلها عن غيرها من البلدان . . ليست هذه حقيقة . .

ولكن أن تتأثر باليابان ؟ . .

فان اليابان قادرة على التأثير فى أى زائر . .

ببساطة لان كل ما فيها مختلف . .

فيها المبتكر . . الحديث ، وأبعد القديم . .

هكذا تحياهما اليابان سوياً ، تعيش الحاضر المتقدم جدا والماضى البعيد الضارب فى القدم . .

وكان هذا هو محور حديثى مع واحد من الكتاب الرواد فى اليابان واسمه : إنيوويه عندما قال لى نحن قادمون من هناك . .

● **هناك أين ؟**

سألته وأنا أتابع اتجاه يديه الممتدتين . .

أجاب :

— **من القارة . .**

● **أية قارة ؟**

سألته مرة أخرى . . وقد جاء تصورى طبعاً على الفور : أنه من آسيا ، فاليابان مجموعة جزر ، ولا توجد قارة سوى آسيا ، وهى على بعد أميال ليست قريبة منهم ، ولكنها على كل حال أقرب القارات اليهم بحيث انتسبت اليابان الى الشعب الآسيوى . .

— **من الصين ؟ . .**

قالها الكاتب الكبير . .

فكل شىء هنا صينى . .

نحن نتحدث اللغة الصينية ولكن بأسلوب حديث . .

ونحن نكتب اللغة الصينية ولكن بأسلوب حديث أيضاً . .

ونحن نشرب الشاى الصينى كذلك . .

سألت الكاتب الكبير :

ماذا تعنى بأسلوب حديث ؟ . .

— **بمعنى أننا طورنا الكتابة . . بدلا من أربعين ألف حرف جعلناهاأربعة الاف**

حرف فقط أو أزيد قليلا . . معنى هذا ان حروف الهجاء اليابانية أربعة الا
حرف أو أزيد قليلا . .
*** ولكن اليس هذا بكثير ؟ . اليس هذا صعباً على تلاميذ المدارس ، كي**
يتعلمون ويكتبون ويتكلمون ؟ . .
انهم يتلقونه هكذا . . كما هو . . ليس من الضرورى أن يتم حفظ كل شيء ع
الفور . فمع تقدم العمر يتم حفظ ما هو أكثر وأكثر . .

وأبعد من هذا ، فانه لا توجد كل حروف الهجاء المصرية ٢٧ أو ٢٨ حرفاً ضـ
هذه الاربعة آلاف حرف بمعنى أن الاربعة آلاف حرف لا تستوعب عمليات النـ
جميعاً . . وأنما هناك كلمات لابد من حفظها هكذا كما تنطق . . فاذا قلت لـ
طارق ، وهنا ما حدث فعلا ، لاتستوعب اللغة اليابانية هذه الحروف وأنما هو ر
« طارق » هكذا عندما أراد أن يهدينى أحدث كتبه باللغة اليابانية ويكتب عـ
الاهداء . .
وكل كتابات الكاتب الكبير عن القارة أو هى مستوحاة من القارة . . وهى عن صر
الاجيال أو الصراع بين القديم والجديد . . هذا هو المضمون أساساً . .

● ● ●

الاسلام أفضل الاديان وأكثر حياة حتى الآن

وقد أثارنى ما قاله الكاتب الكبير عن الاسلام . .
فقد سألته :
*** هل زرت العالم العربى ؟**
— زرت مصر فقط . . وشهدت عملية الحج دون زيارة . .
*** وكيف شهدت عملية الحج دون زيارة ؟**
— فى القارة . . أعنى فى الصين . . يوجد بضعة الاف من المسلمين . . وعندهـ
مكان ما فى الصحراء ، على بعد الآف من الكيلو مترات مزار مقدس . . فى وقت الـ
يقوم أعداد كبيرة من هؤلاء المسلمين بالزيارة . . رغم كل ما يعانوه من مشقة
ولكنهم يصرون على هذه الزيارة . . أعنى الحج . . وفى مصر ، أثناء زيارتى

سنوات بعيدة جدا ، وأثناء سيرنا بالسيارة وسط الصحراء . . وجدت السائق يقف وسط الطريق في الصحراء . . ويستأذن منى ، فقد سمع صوت الآذان . . وراح يصلى وسط الأرض الخلاء . هكذا أحسست أن الدين الاسلامى ما زال حيا فى نفوس هؤلاء الناس .

● ● ●

وجلسنا القرفصاء

عندما وصلنا الى بيت الكاتب الكبير أينوويه . . خلعنا الاحذية ، وارتدينا الشباشب المرصوصة هناك . . ومشينا الهوينى . . وجلسنا القرفصاء . . وشربنا الشاى الاخضر دون سكر ، وأكلنا الحلوى . . هذه الحلوى هى نفس ما يقدم فى الصين . .

اذن فالحياة اليابانية جزء أو امتداد لحياة الصين . . رغم التطور الكبير الذى بلغته اليابان . .

هذا الذى صنعناه فى بيت « إينوويه » نفعله فى كل بيت يابانى . . هذا هو الأصل ، وما عدا هذه فليس أصليا . . وربما هذا هو السبب فى أنه فى كل حجرة من حجرات الفنادق يوجد شبشب دائما . . ويوجد روب هو كيمونو رجالى أو حريمى . . فا لمفروض أنك هنا فى اليابان . . إخلع حذاءك اذن عندما تدخل أى مكان : وارتدى الكيمونو والشبشب . . هذا اكثر راحة من أى شىء أخر . .

وهذا هو الذى جعل أبناء اليابان لاينسون ماضيهم . . انهم شعب له ذاكرة رائعة . .

هنا التقيت مع الكاتب اليابانى الشهير إتيوديه كنا فى الشتاء . والنافذة المطلة على الحديقة الصغيرة كانت مغلقة وحديثنا دار حول المائدة اليابانية المقاربة للأرض



الفصل الثالث

** كيوتو . . أو الضرب فى جوف التاريخ . .

* طوكيو هى العاصمة . .
هذه حقيقة . .
ولكن من أول البرامج السياحية . . أو حتى إذا كنت رجل أعمال . . أو ضيفا ، أو أيا من تكون ، فإن مدينة كيوتو ، أو العاصمة القديمة هى رقم واحد دائما فى البرامج . .
وسيلة الانتقال بين طوكيو وكيوتو : القطار . .
ويا لها من وسيلة تنقلك بين الحديث والقديم . .
ذهبت إلى إحدى محطات القطار الرئيسية . .
وأفضل ألا تسأل عن أسعار التذاكر فإنك تصاب بحالة اللامعقول التى تصاحبك عندما تدفع شيئا فى اليابان . . إنها ليست بضعة آلاف من الينات ،

ولكنها ينات كثيرة جدا . . المهم ، جاء القطار فى موعده . . فى الدقيقة والثانية . . وابعد من هذا جاء فى المكان المحدد له تماما . .

ماذا يعنى هذا . .

ببساطة ، أنت تحمل تذكرة . . ولك مقعد . . هذا المقعد فى القاطرة رقم كذا . .ارقام القاطرات أو عربات القطار معلقة فوق اعمدة على طول المحطة وعندما ترى رقم عربتك فى القطار فوق هذا العمود فإنك تقف هنا تماما لأن القطار سيحضر . . وسيقف ، وسيكون الدخول إلى عربتك من هذه النقطة على وجه التحديد . .

وجاء القطار

ووقف . .

لم اجر لافتح باب القطار أو لأصعد سلالم القطار . . الباب يفتح وحده . لا سلالم ، فقط أنت تتقدم لتدخل . . هكذا . . يعنى باختصار قطارات اوربا تقف هناك على بعد بضع عشرات من السنين . . وإلى الوراء . .

اتخذنا أماكننا . . المقاعد وثيرة جدا . . الأضواء كأنك فى الطائرة . . المقعد يتحرك بالشكل الذى تريده إلى الحد الذى يمكن أن تنام عليه . . يمكن أن يستدير لتواجه صديقا جالسا خلفك . . لا تسألنى كيف ؟ فأنا لا أدرك كثيراً فى مسائل التكنولوجيا . . قال لى مضيفى : هل تحب أن تأخذ فنجانا من القهوة ؟ . . قمنا تركنا كل شىء مكانه . . اتجهنا إلى عربة المطعم . . لا تتعب نفسك . . فالأبواب تفتح وحدها وتغلق وحدها ، كلها أوتوماتيكيا . . لا تخش شيئا . . ولا توجد أية مسافة بين العربة والأخرى ، وإنما كأنهما ملتحمتان سويا أو كأن القطار كله قطعة واحدة . هكذا . . فى الطريق ، قال لى مضيفى :لحظة واحدة إذا سمحت . .

* فيه إيه ؟

سألته أنا :

— ابدا حا أعمل تليفون لطوكيو وتليفون لكيوتو اشوف السيارة ستنتظرنا أو أن علينا أن نأخذ تاكسيا . .

* تليفون ؟ . . من هنا ؟

هذا ما سألته لنفسى . . ولم أفُه به لأحد حتى لا يتصور مضيفى أننى قادم من عالم متخلف . . وعندما حاولت أن أجيب أو أن أوقظ نفسى من تساؤلى السخيف كان هو قد أنهى جميع تليفوناته . . وتظاهرت أنا بمظهر العارف ، وكأن هذا شيئا طبيعيا جدا . .

ماذا أقول ؟ . . هل أقطع عليك الحديث دائما بشيء جديد ؟ ولكن هناك دائما ما أضيفه ولن يكون هناك مكان غير هذه للاضافة . . ففى اليابان يدعونك دائما إلى استخدام التليفون ، إنهم يقولون لك فى الاعلانات : تكلم . . لماذا لا تتكلم ؟

إن التليفون جعل لراحتك . . ولتسأل عن أصدقائك وأقاربك . . حتى إذا كانت المكالمة عبر المحيط ، فهذا يتم فى أقل من ثانية . أما الناس : أبناء اليابان فإنهم يطلقون على التليفون : بالع البنّات . . أو أكل الفلوس . .

كل ما نطلبه فى المطعم موجود . .

ولكننى شخصيا شربت القهوة فقط . وقطعة من الكيك . .

وسألنى مضيفى :

* هل انتهيت ؟ . .

قلت :

— نعم لماذا ؟ .

* لأننا يجب أن نتحرك إلى مقاعدنا حتى لا ننسى حقائبنا ، فالقطار على وشك الوصول . .

كدت أصرخ فى وجه هذا المجنون : وصوله لفين . . إن كيوتو تبعد قرابة خمسمائة كيلومتر عن طوكيو . .

ولكننى فضلت أن أكتم جهلى . . ورسمت على وجهى ابتسامة بسيطة وأنا أقول :

* خلاص ؟ . .

— تقريبا . .

هكذا أجاب مضيفى . . ثم أكمل :

— أنت تعرف أننا أخذنا القطار العادى ٢٠٠ كيلومتر فى الساعة فقط . .

ولم يهتز فنجان القهوة فى يدى . .

ولم أحس بالسرعة التى نمضى بها . .

فقط على طول الطريق ، لا لا يمكن أن أقول طول الطريق ، فلم يكن طويلا . . نعم فى قطار اليابان لم تكن ٥٠٠ كيلومتر طريقا طويلا . .

على جانبى الطريق أقول : كانت هناك المرتفعات . . وكأننا نمشى فى واد بينهما وكثيرا كثيرا جدا ما كنا نمشى فى أنفاق طويلة طويلة لعدة كيلومترات . .

هكذا أيقنت أن ٨٦٪ من أرض اليابان مرتفعات غير مستخدمة . . ولكنهم استطاعوا أن يضعوا أسس حضارتهم القديمة والحديثة على ١٤٪ فقط من أرضهم وغزوا الدنيا .

مدينة كيوتو . .
مدينة هادئة . . على الأقل أكثر هدوءا من طوكيو . .
مترامية الأطراف ، تحيا ما بين الوديان ، وما بين المرتفعات البسيطة ، أو بداية السفوح إذا استطعنا أن نقول كذلك . .
الحياة فيها مشرقة ، بمعنى أن الشوارع أكثر اتساعا أو أنك تجد لقدمك مكانا على أرضها . .
إلى حد بعيد أعطتنى الاحساس وكأننى فى إحدى العواصم العربية : دمشق . . عمان . . تونس العاصمة . .
فى تصورى أن أهم ما يميز كيوتو إلى جانب هدوئها شيئان :

أولا ـ معابد كيوتو :

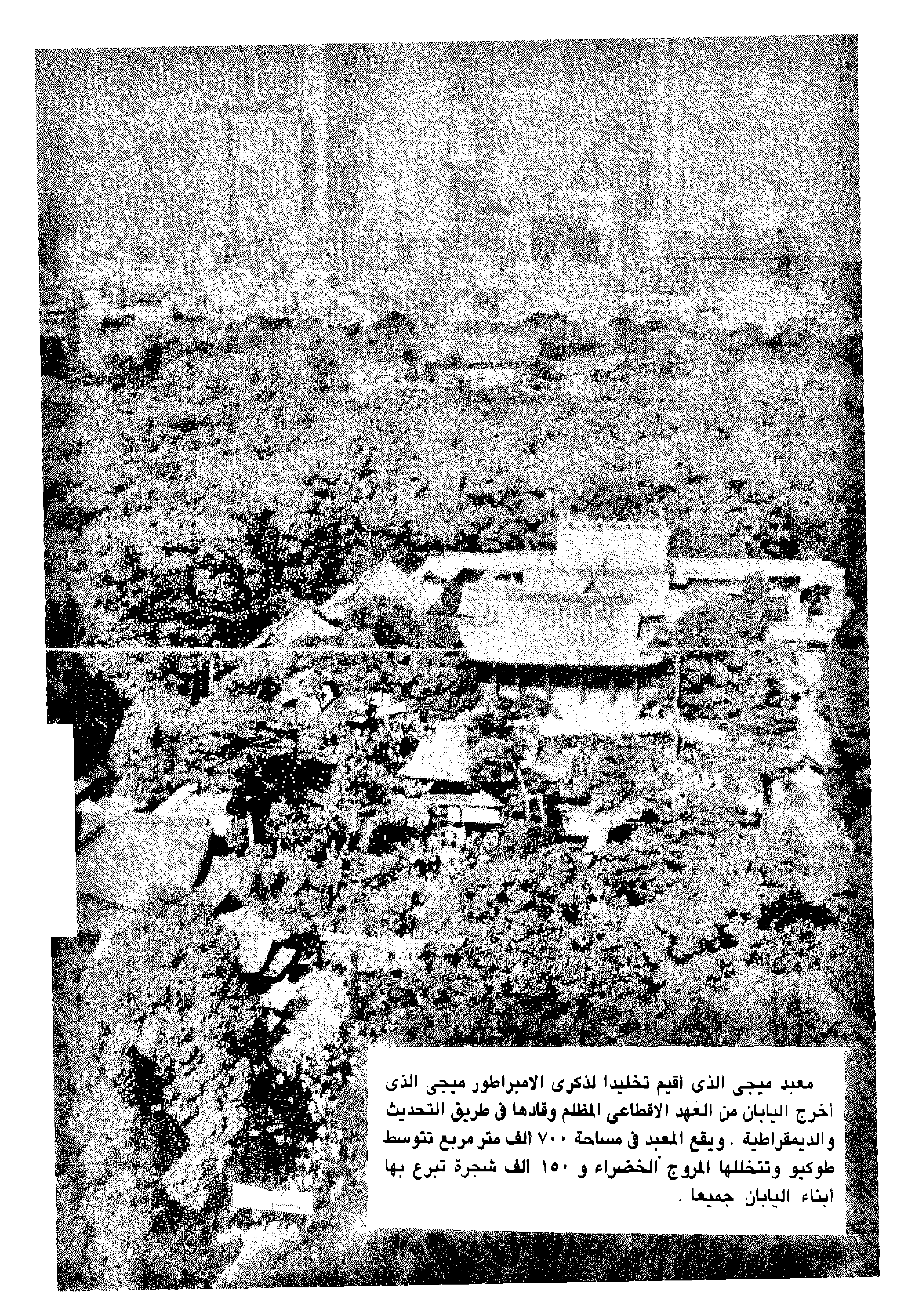
هذا العدد الهائل من المعابد اليابانية . . لا أستطيع أن أقول المعابد القديمة ، على الرغم من قدمها تاريخيا ، لأن المعابد اليابانية القديمة هى ذاتها المعابد الجديدة . لم يحدث تغيير . . ففى ناحية العبادة وقف اليابانيون عند حد الديانة البوذية ، وكفى . . هناك أديان أخرى طبعا ، دخلت اليابان مثل المسيحية والإسلام ، ولكن إذا قلت لك إن عدد المسلمين فى اليابان لا يتجاوز عشرة آلاف نسمة فى وسط خضم الـ ١١٦ مليون مواطن لأحسست بمدى ضآلة من ينتمون لهذه الأديان إلى جانب الارتباط المطلق بالبوذية وما يتفرع منها من ديانات والاصرار عليها . .

مرة أخرى فى تصورى الشخصى أن البوذية دين . . هكذا آمن به اليابانيون . . وكل دين يستهدف التوحيد أساسا وإسلام الروح أو الاعتقاد المطلق فى شىء ما . . وهذا يكفى . .

هكذا أحس اليابانيون ، أما الحياة الدنيا ، فهناك الكثير لتحقيقها . . بمعنى أنهم لم يشغلوا أنفسهم كثيرا بمسألة الدين مثل ما شغلوا أنفسهم مثلا بزراعة مزيد من الأرز أو تحقيق تقدم تكنولوجى أبعد . .

والديانات جميعا فى اليابان حرة . .

هناك كنائس عددها قليل جدا . . تكاد لا تراه . . ولكن التليفزيون صاحب القنوات الكثيرة ، لا بأس به أن يترك واعظا أمريكيا يعظ . . إلى المسيحية أو إلى أى شىء يراه . . هناك حرية . . والحرية مكفولة للجميع . ولا قيد على ما يعتقده الناس . .



معبد ميجى الذى أقيم تخليدا لذكرى الامبراطور ميجى الذى أخرج اليابان من العهد الاقطاعي المظلم وقادها في طريق التحديث والديمقراطية . ويقع المعبد في مساحة ٧٠٠ الف متر مربع تتوسط طوكيو وتتخللها المروج الخضراء و ١٥٠ الف شجرة تبرع بها أبناء اليابان جميعا .

وحتى نربط كيوتو ربطا ما بالديانات وجب أن نشرح شكل المعبد اليابانى . .
المعابد كلها مصنوعة من الخشب .. تمشى إليها بطريق ممهد . . وغالبا ما تصعد إليها ببضع سلالم . . ثم يكون المعبد . . والمعبد بلا أبواب ، أو بوابة مفتوحة ، تفوح منها عادة رائحة البخور . . موائد مرصوصة هنا وهناك . . أشكال خشبية منتشرة أيضا هنا وهناك . . وغالبا ما يكون فى أحد الجوانب صندوقا ضخما ، إما مغلقا وله فتحة واحدة ، وإما أن يكون له سقف مفتوح ولكن عليه خشبات كثيرة تسمح بنزول الأموال أو القطع النقدية إليها دون أن تسمح بردها . . هذا الصندوق هو صندوق المعونات . . أو صندوق النذور أو قل ما تشاء . .
هناك أيضا صناديق أخرى مليئة بالشموع . . تستطيع أن تسحب شمعة وأن تضيئها بمعرفتك . .
وهناك صناديق للبخور . . وفى إمكانك أن تسحب عودا من البخور وتشعله .

●●●

كيف تتم الصلاة :

أنت تتقدم كسائح ، تنظر أمامك وتنظر حولك وتحاول أن تلتقط صورة . .
ولكن دخول اليابانى على المعبد شىء مختلف . .
قد يدخل أولا إلى صندوق الشموع فيشعل شمعة أو إلى صندوق البخور ليشعل عودا من البخور . . ثم يسقط بضع قطع من مئات الينّات . . ثم ، يعود إلى الوراء قليلا يقف فى مواجهة تمثال بوذا تماما . . يضم رجليه بحيث يلتصق الكعبان . . يصفق بكلتا يديه تصفيقة بسيطة لا خلاعة فيها ، يحنى رأسه ويتمتم ببضع كلمات . . ثم يرفع رأسه . . انتهت الصلاة . .
غالبية المعابد تدخلها بالحذاء . .
وهناك معابد تخلع حذاءك عند مداخلها . .ولكن معظم المعابد التى رأيتها تستطيع أن تدخلها بالحذاء .. فهى أشبه بالمزار العام . .

ثانيا - مركز كيوتو للصناعات اليدوية :

ويكاد ينافس هذا المركز معابد كيوتو . .

إنه مركز الصناعات اليدوية . .

والصناعات اليدوية أساسها أو أولها : الحرير اليابانى . . انت تدخل إلى المركز ، وكثير من سياح الدنيا إلى كيوتو يدخلون هذا المركز ، فتجد عرضا رائعا امامك من كل الصناعات . .

والحرير اليابانى يحتل ٩٠٪ من المعروضات على الأقل . . أما باقى المعروضات فهى صناعات خشبية صغيرة . .

الدور الأول من المركز عبارة عن عروض داخل فترينات لكل ما تنتجه أيدى اليابانيين فى كيوتو وما حولها . .

وأساسها : ثلاثة أشياء : أربطة العنق . . وتصل الواحدة منها إلى ٢٥ و ٣٠ دولارا (خمسة إلى ستة آلاف ين)وهى من الحرير اليابانى طبعا . .

وثانيا : حقائب اليد للسيدات ، وتتراوح أسعارها ما بين خمسة عشر دولارا إلى أربعين وخمسين دولارا . . وثالثها : عرائس اليابان الرقيقة التى ترتدى أزياءها من الحرير اليابانى المشغول . .

وكل هذه الأشياء الثلاثة من الحرير اليابانى المشغول . . ويجب أن أقول : إنه ليس لها مثيل فى الدنيا . .

وأبعد من هذا : ليس لها مثيل حتى فى اليابان ذاتها . . فالمركز الصناعى اليدوى هنا فى كيوتو ، هو نوع من الارتباط بالقديم . .

فلنترك عملية الفرجة - المشاهدة والشراء قليلا - إن صوتا ينادى عليك : العرض القادم سيبدأ بعد عشر دقائق . .

وتتجه إلى مكان الصوت ، فى نهاية القاعة الكبيرة ، وتمشى خلف الصوت فإذا بك تمر ببعض السيدات اليابانيات وقد جلسن إلى المشاغل اليدوية ، يغزلن الحرير اليابانى وقد خرجت من الآلات البسيطة أثواب الحرير الرائعة . .

* باب صغير يقودك إلى قاعة العرض . . مسرح رائع ، أضواء ، كل شىء على أحدث الصيحات . . الضوء يخفت قليلا قليلا . . أضواء المسرح تبدأ فى الظهور . . ثم يرفع الستار . . ويبدأ العزف . . بنات اليابان يعرضن أجمل الحرائر اليابانية طبعا فى الكيمونو . .

ولا تسأل عن الثمن . . فهناك كيمونو من الحرير اليابانى يصل إلى خمسة آلاف دولار . . ولكن هناك طبعا ما هو أقل ، وأقل بكثير . .

خليط من الخضراوات الرفيعة ولحم البقر البارد ، وهو من الأطباق الصينية . .



مطعم عادى من مطاعم اليابان المنتشرة فى الشوارع والطباخ يستعرض مهاراته فى استخدام السكين وإعداد مواد الطهى وهى على أكبر درجة ممكنة من الطزاجة . .

« غداء فى بيت الجيشا »

زيارة أخرى سريعة قبل أن نترك كيوتو . .

قال لى مضيفى :

— ما رأيك فى أن نتغدى اليوم فى بيت من بيوت الجيشا ؟ إن كيوتو تشتهر بأقدم هذه البيوت . .

— لا بأس . .

قلت أنا ، وعلامات الاضطراب لم تظهر بعد على ملامحى . . فالمعروف عالميا أن الجيشا لها طابع خاص . .أو علاقة جنسية أو نسائية معينة . .

وقادتنا السيارة إلى طرف من أطراف المدينة . .

الباب الصغير يقع وسط ممر من الحجارة الجميلة وسط صفين من الأشجار . .

وقفنا أمام الباب . .

فتحت سيدة ترتدى الكيمونو وتنحنى بمنتهى الاحترام

دخلنا خطوة واحدة . .

خلعنا حذاءنا . .

إرتدينا الشباشب . .

وقادتنا السيدة إلى الحجرة التى سنتناول فيها طعام الغداء .

فتحت بابا جرارا . .

وكان علينا أن نصعد عتبة واحدة . .

خلعنا الشباشب . .

هناك مائدة كبيرة تحتل وسط الغرفة . . المائدة طبعا بلا أرجل ، فهى تمتد على الأرض مباشرة . . والحصير يملأ أرض الغرفة ، وبعض الشلت الصغيرة . .

تقدمت السيدة ، فوضعت شلتة لى وشلتة لصاحبى . .

ثم نهضت وهى تنحنى . .

وخرجت وهى تنحنى . .

وبعد أقل من دقيقتين جاءت تنحنى أيضا ، وقدمت لى وله قدحان من الشاى الأخضر بلا سكر طبعا . . وكوبين من الماء القراح . .

ثم جلست بجوار مضيفى وسألته بضعة أسئلة باليابانية . . وأجابها المضيف وذهبت مرة أخرى وهى فى حالة إنحناء دائم . .

لم تمض عشرين دقيقة حتى كانت قد أتت بالطعام أمامنا . . قدحان من الأرز

المسلوق . . فهذا أساس كل شيء . . ثم بضعة أطباق صغيرة جدا . . لا يتعدى حجم الطبق الواحد أربعة سنتيمترات فى أربعة سنتيمترات . . لكن العدد كبير يكاد يصل إلى العشرة . . وكلها مملوءة بأشياء لا أعرفها . . هذا خضار مسلوق . . هذا سمك نيىء . . هذه صلصة . . وهكذا . . وجلست السيدة إلى جوار المضيف وراحت تسألنى باليابانية والمضيف يجيبها نيابة عنى . .

ولكن كان على فورا أن أوقف هذا الحوار وأن أسأل عن نوع هذا الطعام الذى أكله . . والذى لم أستطع أن أتذوق أكثر من ربعه فقط . .

ومع ذلك أخذت السيدة تسرى عنى ، بأن هذا هو الطعام اليابانى الأصيل ، وتشرح لى أننى الآن فى بيت من بيوت اليابان الأصيلة ، وأن هذا هو الطعام الذى يقدم هنا . . وتسألنى عن إسمى ، ورحلتى ، وعائلتى وبناتى . . إلى غير هذا ثم إندمجت فى حديث مستمر طويل مع مضيفى اليابانى لأكثر من ستين دقيقة لم افهم منها كلمة واحدة . .

الآن أدركت ما هى حقيقة الجيشا . .

إنها الضيافة اليابانية . .

فهذه السيدة التى تجلس معنا سيدة يابانية لها أبناؤها وزوجها وأسرتها ولا مانع من أن تعمل فى بيت من بيوت الجيشا .

والقضية أن جيشا تعنى مضيفة والجيشا هاوس هو بيت الضيافة . .

• • •

وهناك عديد من الشركات الجديدة التى تقدم الضيافة لكل القادمين . .

والضيافة تختلف . . من هيئة إلى أخرى ومن مكتب إلى آخر ومن ضيف إلى آخر . .

ومكاتب الضيافة التى تختلف لتواكب متطلبات العصر أصبحت كثيرة . . وتعلن عن نفسها . . وفى الاعلانات تستطيع أن تجد ما تريده من نوع الضيافة الذى تحدده أنت شخصيا . .

وفى مداخل الفنادق الكبيرة تجد نشرات الضيافة التى تحدد أنواع الضيافة جميعا . . والتليفون أمامك ، وهم يتحدثون جميع اللغات . . إذن . . لا مشكلة . .

اللؤلؤ قادم من ميكيموتو

بقيت مسألة واحدة تتفق فيها كل من العاصمة القديمة والعاصمة الجديدة . .

إعلان التليفزيون الدائم عن السوق الحرة .

والسوق الحرة إصطلاح وجد للبيع لكل الأجانب الذين ياتون إلى اليابان . .

والسوق الحرة عبارة عن مبنى كبير يضم أدوارا خمسة في كل من كيوتو وطوكيو . .

ولكن في كيوتو مبنى واحد . . أما في طوكيو فهناك أكثر من مبنى . هناك مبنى في كل من وسط العاصمة . . والعاصمة الجديدة لها أكثر من وسط . . إذن فلها أكثر من مبنى . .

والسوق الحرة تبيع كل ما هو ياباني . . لا يوجد بها اى شيء مستورد من خارج البلاد . .

الساعات . . اربطة العنق . . الصناعات اليدوية . . كل شيء . . إلى اللآلىء . .

واللؤلؤ هو اهم ما يميز اليابان . .

واللؤلؤ له أنواع وله اسماء . .

واليابان لا تعرف اللؤلؤ الطبيعي المعوج كما تعرف تربية اللؤلؤ ورعايته .

وتربية اللؤلؤ ورعايته واحدة من اهم صناعات اليابان . .

تتم هذه التربية في الصدفة . . والأصداف تملأ شواطىء اليابان ، ولها عنابر خاصة تجمع فيها . . ويتم تصديرها إلى الجزر القريبة حيث تزرع اللآلىء الطبيعية فيها في أحواض خاصة لها طبيعة معينة ، والأصداف لها أعمار . . وكذلك اللآلىء . وقد وصلت اليابان لصناعة اللالآلىء أو بتربيتها إلى قمة التكنولوجيا بحيث وضعت لها الأسماء والأشكال والألوان أيضا . .

والأسماء غالبا ما تتبع اسماء الجزر التى تربى فيها . .

واشهر الجزر هى جزيرة ميكيموتو . .

وجزيرة ميكيموتو لها محلات بإسمها فى شوارع طوكيو ولها جناح بإسمها فى السوق الحرة داخل كيوتو . .

والحصول على لؤلؤة من لآلىء ميكيموتو شىء ذا قيمة حقيقية . . لأنه ، ببساطة قد تصل اللؤلؤة الواحدة فى بعض الأحيان إلى عشرة آلاف دولار أو يزيد . .

وفى السوق الحرة تباع اللآلىء بالواحدة . . فلا يوجد شىء إسمه « حلق » أو « دلاية » أو « عقد » . . وإنما أنت تشترى اللآلىء بالواحدة ، وتصنع منها ما تشاء . .

فقط هناك أطقم كاملة من اللآلىء الصغيرة تباع للأطفال ويصل الطقم فيها إلى أربعين أو خمسين دولارا . .

واليابان تعتز بلآلئها . .

ويستنكر البائع أن يسمع منك أنك وجدت اللآلىء فى مكان آخر أرخص من اليابان . لأن اليابان هى التى تربى اللآلىء . . وفيما عدا هذا فهو زيف . .

آسف ، لا أريد أن أفجعك . .

ولكن الحق أقوله لك . . لقد صدقت أنا هذه الحقيقة !



إنذار

إلى لاعبى الكرة فى العالم . !

اليابان لم تسجل إسمها بعد فى عالم الكرة . . فهى ليست المجر وليست البرازيل وليست إنجلترا ولا هى مصر .

ولكن كرة القدم بدأت الآن فى اليابان . . الأطفال يتمرنون فى أوقات متقاربة . . وعلى العالم أن يستعد . . فاليابان قادمة على الطريق !

الفصـــل الرابع

قمة التكنولوجيا . .
وفكر الرجل . .

الطريق بين كيوتو وأوزاكا ، اقصر من الطريق بين طوكيو وكيوتو . . من أجل هذا فإن السيارة الخاصة يمكن أن تمرق بنا عبر الطريق السريع إلى واحدة من العواصم الصناعية فى اليابان . . وواحدة من أشهر مدن اليابان فيما يتعلق بالمعارض والمباريات الأوليمبية . . أوزاكا . .

* ولكن أليس هذا غاليا جدا أن تذهب بالسيارة ؟

سألت أنا مضيفي ، وأنا أعلم أن هذه السيارة لا تتبع وزارة الخارجية اليابانية . . فالخارجية اليابانية لا تملك أى شىء إلا موظفيها . . أما هذا المضيف أو غيره فهم قادمون من مكتب خاص للضيافة . . هذه المكاتب المنتشرة فى كل مكان . . وعندما يكون لديها ضيف ، أعنى لدى الخارجية اليابانية ، فإنها تتصل بواحدٍ من المكاتب التى تتعامل معها وتطلب مضيفا صفاته كذا وكذا لمدة كذا يوم أو كذا ساعة . . وتدفع الخارجية الأجر باليوم والساعة . . وهكذا السيارة ، فهى تابعة أيضا لمكتب من مكاتب الضيافة . . عملية اقتصادية ١٠٠ ٪ ، فلماذا تحتفظ الخارجية اليابانية بموظفين دائمين للضيافة . . وعندما لا يكون هناك ضيوف ، ماذا تصنع بهم ؟ يجلسون عاطلون هكذا يضيعون وقتا للآخرين ويستخدمون مكاتبهم . . هذه هى الفلسفة . .

كان الطريق قد مضى . .

بدأ الطريق العلوى يأخذ معالمه على أرض مدينة صناعية ، تبدو أعمدة العوادم . .

هذه واحدة من قلاع الصناعة فى اليابان . .

وبينما كان السائق يأخذ طريقه إلى الفندق الكبير عبر الزحام الذى يكاد يشبه زحام مدينة طوكيو ، كان مضيفى يصب فى أذنى بعض المعلومات عن أشهر الصناعات فى هذه المدينة وهى صناعات الألكترونات ، وطبعا فى قمتها أجهزة التليفزيون . . وكل ما يتعلق بها . . كذلك يعرج على بعض الأنساب الصناعية فسانيو متزوج من أخت سونى . . وناشيونال قريب من الدرجة الأولى لهيتاشى . . هكذا . .

وكيف أن هذه الأنساب الأرستقراطية العريقة قد أعطت صناعات اليابان شيئا من الروابط الأسرية التى جعلت لها جميعا حدا أدنى من التصرف الخلقى . . بمعنى أن دولة ما إذا طرحت مناقصة عالمية ، وقررت سونى مثلا الدخول فيها . . خلاص . . انتهى الأمر بالنسبة لشركات اليابان ، الكل يكون فى خدمة الشركة التى تقدمت . . الكل يساعد . . الكل يعطى الأجهزة المكملة لما تتقدم به الشركة اليابانية . . المهم أن تكسب الشركة اليابانية المناقصة . . فهذا هو اسم اليابان ، وهذا هو علمها يرتفع هناك على أرض الدولة الأخرى . . ليس بصورة استعمارية ، ولكن بصورة التقدم التكنولوچى أو المعونة الاقتصادية . .

● أبعد من هذا :

● لقد ضصصت الشركات اليابانية الكبيرة لبعضها البعض مناطق الاختصاص . . فشركة سانيو تنتج احتياجات العالم العربى والشرق الأوسط . . ليس هذا حكرا عليها ولكن مجموعة الشركات اليابانية فيما بينها تترك لسانيو فرصة التفوق . . وتقدم لها ، وعن طيب خاطر كل المعلومات الاقتصادية التى لديها . . وشركة ناشيونال تختص بمنطقة أوروبا . . وهكذا . . وفى تصورى شخصيا أن اليابان واحدة من الدول التى تركت تماما فكرة التجسس الدبلوماسى على الأسلحة . . والثورات وغير هذا . . إلى التجسس الدبلوماسى على الوضع الاقتصادى للدولة التى تعمل بها أو تدخل شريكا فى واحدة من أهم مشروعاتها . .

وهذا حق مكفول . .

فرأس المال جبان ، ومن حقه أن يبحث عن أكثر المناطق أمنا . .

والأماكن التى تكفل له هذا الاستقرار . . ليس هناك أى تدخل من نوع آخر . .

ومن هنا . .كان تفكير اليابان كمنشاة اقتصادية فى أى مشروع من المشروعات يستغرق وقتا . . طويلا جدا ربما أكثر مما ينبغى . .

ولكن . .

عندما تقرر اليابان مشروعا . . تنتهى إلى ضرورة تنفيذه فى مكان ما من الدنيا فإن هذا التنفيذ لا يمكن أن يستغرق وقتا أطول من أية دولة أخرى . . بل على العكس . . إنه يستغرق ـ ربما ـ أقل من نصف الوقت الذى تتقدم به أية دولة أخرى . .

فهذه الأمة اليابانية أمة تعمل . .

وهؤلاء اليابانيون لا ينامون قبل أن ينتهى العمل . .

وهم لا يتركون مكاتبهم وعليها أوراق تنتظر القراءة والرأى والرد . .

إنهم لا يقولون : لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد . . لأنهم لا يعرفون عمل الغد . . هم ينتهون اليوم ومباشرة ، من كل ما يجب الانتهاء منه . .

هذا هو الفكر الاقتصادى اليابانى . .

وهذا هو قبل الفكر : أسلوب العمل . . ومن هنا كانت اليابان فى مؤسستها الاقتصادية أسرع . . فهم لا يعرفون الروتين إذن . . وهم لا يعرفون البيروقراطية ، لأنه ببساطة : الذى يعرف إنهاء العمل وضرورته لا يمكن أن يدخل إلى المسالك البيروقراطية . .

* دخلتِ إلى مصانع سانيو :

وأنا هنا لا أستنكف من ذكر اسم المصنع . .

فهذا ليس إعلانا وإنما هو وببساطة واحد من المصانع اليابانية الكبيرة المنتشرة هنا وهناك ، وليس سانيو هى أفضل ما تنتجه اليابان ، فهناك سونى الذى يبيع منتجاته بضعف أسعار المنتجات الألمانية الغربية لفرط كفاءته وجودته وهم هنا لا يخشون المنافسة ، وهم هنا مرة أخرى : لا يعتمدون على السعر الرخيص للمنتجات اليابانية . .

*** ولكن كيف تصل اليابان إلى هذا السعر الرخيص الذى تضرب به أسعار الدنيا ، خاصة ونحن نعلم أن اليابان دولة بلا موارد أولية . . وإنما هى تستورد كل الموارد الأولية . . مثل الحديد والفحم . . و . . وكل شىء . . ثم يمكن تصديرها بسعر أرخص من كل العالم ؟ . .**

أليس هذا سؤالا اعتراضيا ؟ . .

ولكننا بالتأكيد سنجد الإجابة عليه ضمن زيارتنا لهذا المصنع . .

فصبرا جميلا . .

السيارة تنطلق بنا إلى المصانع . .

إلى جوارى جلس مضيفى الجديد فى أوزاكا أحد مديرى مصانع سانيو . .

فتح الباب الكبير . .

دلفت السيارة إلى المدخل الرئيسى . .

فتاتان يابانيتان تنحيان حتى رسمت كل واحدة منهما بجسمها رقم ٦ . .

مجموعة من المديرين فى الانتظار . .

فتحت قاعة الاجتماعات . .

كل شىء معد . .

تقدم الجميع ببطاقاتهم (كروتهم) التى تبين أسماءهم ووظائفهم باللغتين الانجليزية واليابانية . .

هذه عادة يابانية أن يقدم لك مستقبلك البطاقة قبل أن يصافحك . .

جلس الجميع . .

رئيسهم يتوسط وأمامه علم اليابان . .

وأنا فى مواجهته وأمامى علم مصر . .

هكذا يعمل اليابانيون حسابا لكل شىء . .

وبعد لحظات من التعارف سألنى المدير الكبير . .

*** هل نبدأ الحوار الآن . . أو بعد جولة المصانع ؟ . .**

ـ أفضل بعد الجولة . .

وفى ثوان معدودة كنا نتجول داخل واحد من أكبر مصانع اليابان . .

*** إن ٨٠ ٪ من إنتاجنا يذهب إلى الشرق الأوسط والعالم العربى ، هكذا قال احد المرافقين . . ومن هنا فإن اختبارات للحرارة والضبط . . و . . و . . كلها مأخوذة فى الاعتبار . .**

« قاعـــة . . بلا عمـــــال »

ودخلنا القاعة الأولى . .

صوت العديد من الماكينات يعمل . . كيف لا يوجد بها عمال . . عامل واحد دخل من باب خلفى فى أقصى القاعة وراح ينظر بجهل إلى الماكينات . .

الماكينات تعمل وحدها . .

ماذا تعمل هنا الماكينات الكبيرة ؟

هذا مصنع لانتاج التليفزيون . .

لوحة مربعة تتقدم على شريط كبير . . طبعا تتبعها لوحات ولكن مع فارق فى المسافة . . فارق المسافة يصنع فارقا زمنيا . . الماكينة رقم واحد تتولى اللوحة . . تقوم بنفسها فى وضعها فى الوضع الصحيح . . تتقدم أصابع لم تكن ظاهرة من قبل . . أصابع معدنية بتثبيت أجزاء رفيعة ودقيقة جدا . . فى خروم رفيعة موجودة بالفعل على اللوحة ، وفى حركة سيمفونية رائعة . . تك . . تك تك تك . . تك تك . .

وتناول الماكينة الأولى اللوحة لماكينة ثانية بجوارها . . الشريط يتقدم . .
وتتولى الماكينة الثانية اللوحة بعنايتها ، وتتقدم الأصابع الخفية مرة أخرى تقوم بوضع فيوزات أو لمبات صغيرة . .
الماكينة ٣ تتولى وضع قطع معدنية . . بأصابعها المنطلقة من داخلها أيضا . .
الماكينة رقم ٤ تقوم بوضع لمبات كبيرة . .
ويمشى الشريط الكهربائى . . يقدم لوحات جديدة للماكينة الأولى . . وتاخذ مسارها إلى الماكينة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة وهكذا . .
اللوحات أساسا كانت قد قامت بتجهيزها ماكينات أخرى قبل هذا العنبر أو القاعة التى دخلن إليها . . الماكينة الواحدة من هذه الماكينات التى نقف أمامها لا تقوم بتثبيت القطع المطلوبة منها فى أماكن متجاورة ولكنها تقوم بتثبيتها فى أماكن مختلفة من اللوحة . . هذه فى الأول إلى اليمين وهذه فى الآخر إلى اليسار . . وهنا فى الوسط . . وهكذا . .

إن هناك عيونا ترى . .
وأيدٍ تحس . .
وأصابع تدق وتثبت . .
ويجىء العمل رائعا ومتكاملا . .
كيف حدث هذا ؟ . .

« هنا . . نجد الإجابة على السؤال الأول »

كيف تقوم اليابان بتصدير منتجاتها التكنولوجية بأسعار أرخص من مثيلاتها الأوربية وهى لا تملك أى مورد من موارد الطاقة . .
والاجابة هى : هذا الذى نراه أمامنا . .
الكومبيوتر إيزيشن أو بإخضاع كل شىء للكمبيوتر أو التحكم الآلى المطلق أو التقليل قدر الامكان من الأيدى العاملة . .
هنا . . وفى هذا الشأن وصلت اليابان آفاقا أبعد بكثير من الولايات المتحدة الأمريكية . .

وهكذا بدأت الحرب الاقتصادية . .
حرب الصناعات والتصنيع . .
حرب الصادرات والتصدير . .
حرب الذى يصنع أكفأ . . ويصنع أرخص . . ويصدر أول . . حتى إذا كانت هذه الصادرات تتجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها . . وإلى قلب أوربا . .

كان علينا أن نمشى عبر القاعات . .
آه . . بدأت الرؤوس تظهر . .
بدأت الأيدى العاملة تعمل . .
* فقط ١٤ ٪ .
هكذا قال أحد المرافقين . .
* لمـــاذا ؟ . .
سألت أنا . .
وأجـــاب :
* لأن هناك اختبارات الضبط . . هناك عمليات إصلاح خلل حدث بمجرد الصدفة ، هنا يجب أن تتدخل يد الانسان . . ولكن هذا لا يعنى أننا لسنا فى سبيلنا إلى تركيب ماكينات آلية كاملة للمراجعات والضبط وإصلاح الخلل . . ولكن هذا يستغرق وقتا . .
كل الرؤوس التى انحنت تعمل . . أو ارتفعت تلاحظ ، كانت لها مرايا تعكس كل شىء . . رؤوس سيدات وفتيات . .
الشريط المعدنى يمضى بسرعة . .
الجهاز الواحد لا يبقى أمام الفتاة أو السيدة أكثر من ثلاثة أرباع دقيقة . .
فى خلال الخمسة والأربعين ثانية عليها أن تمسح الجهاز بفوطة معينة . . تنظر فى تركيبته . . تراقبه فى المرآة . . تصلح ما يجب إصلاحه . . تمسحه بالفوطة مرة أخرى . . صدق أو لا تصدق ، ولكنها هى الحقيقة عارية أمامك . . وتستطيع أن تتخيل . . وإذا لم تستطع فحاول أن تتخيل أية سرعة تعمل بها السيدات والفتيات . .
هذه العيون اليابانية بضيقها وذكائها وسرعة حركتها ، والأيدى التى تتلهف على

الجهاز المتقدم إليها لعلاجه أو للتأكد من صلاحيته . . بهذه السرعة كيف تعمل ؟ .
واجاب المرافق الكبير :
ـ لقد احسنا تدريبهن . .
* ولـكن ؟ . .
قلت هذا ونظرت إلى جميع الملتفين حولى . .
* ولـكن ماذا ؟ . .
سألنى أكبر المرافقين . .
* ولكن لماذا أرى كل العاملات سيدات وفتيات وكل المديرين رجالا ؟ .
والتفت فيمن حولى مرة ثانية . .
وكأنه استغرب السؤال . . وكأنه يسألنى انا نفسى : من أى عالم قدمت .
ولكنه ابتلع سؤاله ورفع إصبعه يشير إلى رأسه وهو يقول :
* نحن هنا . . نحن الذين نفكر . . وهؤلاء يعملون . .
هذه قضية ليس لى شخصيا أن أتدخل فيها ولكنى قلت فى نفسى : لو أن احدى فتياتنا بقين فى هذا العمل لأكثر من ساعات لأصيبت بشىء من الذهول . . ولكن هناك حقيقتان هامتان : التدريب الجيد . . و . . حب العمل . .
* كم ساعة تعمل السيدات ؟ . .
ـ ثمانية ساعات . .
* ووقت الراحة ؟
ـ خمس عشرة دقيقة . .
وقبل أن أكمل بسؤال آخر واصل المرافق الكبير حديثه :
ـ لقد حسبنا الفرق بين ربع ساعة ونصف ساعة راحة ، وجدنا أن الفرق يساوى ٧٢ مليون ين يابانى . . هنا فى هذا المصنع فقط . . معنى هذا أن اليابان كلها تعمل كذا وكذا . .
المسألة كلها اقتصاد فى اقتصاد . .
وكل شىء محسوب . .
هذه هى اليابان . .

* * *

لم يعد هناك داع للحوار . .
وفى طريق العودة ، قدم لى المدير المرافق علبة صغيرة . .
* ما هذه ؟

ـ أنها أحدث ما أنتجت مصانعنا . . ساعة تعمل بالطاقة الشمسية . .
ضحكت وأنا أقول :

* يا صديقى إن اليابان ليست فى حاجة إلى ساعة يد تدور بالطاقة الشمسية ولكنها فى حاجة إلى أن تدور مصانعها بالطاقة الشمسية فأنتم تستوردون ١٠٠ ٪ من البترول ومن بلاد بعيدة جدا . . العالم العربى . .

ـ هذه هى مشكلتنا رقم واحد . . الطاقة . . والشمس هى مصدر الطاقة الوحيدة الذى نملكه . . من أجل هذا نتعاون جميعا ، كل شركات اليابان ومصانعها ، فهى قضية قومية ، وقد وصلنا إلى تدفئة وتبريد عدد من عمارات اليابان الجديدة عن طريق الطاقة الشمسية ولكنها ما زالت مكلفة . .

ـ وأشار بيده عبر زجاج النافذة إلى مجموعة من أعلى عمارات أوزاكا ـ بالطاقة الشمسية . حكومة اليابان تدفع لكل واحدة من هذه العمرات ٤٠٠ ألف ين (حوالى ٢٠ ألف دولار) مساعدة منها على إنتاج أجهزة استخدام الطاقة الشمسية وهذا لتوفير من استهلاك البترول المستورد . . ولكن حتى الآن لم نصل إلى الاستخدام الأمثل للطاقة الشمسية . . هذه هى قضية الجزء الأخير من القرن العشرين . .

* * *

الفصل الخامس

« هؤلاء اليابانيون . . حيرونى »

هذا التقدم التكنولوچى الهائل . .
هذا التفكير فى أمر المستقبل ليس فقط بالورقة والقلم ، وإنما أيضا بالكمبيوتر وكل الآلات الحاسبة التى عرفها العالم . .
هذا التفكير فى أمر موقعهم من الدنيا . .
وهذا الاصرار فى عناد على أن يكونوا سادة العالم بدون إعلان مسبق . .
ومع ذلك . .
فهم يرتبطون بالماضى وكأنهم طفل يتمسح فى اذيال أمه فلا يتركها ، وإذا بعدت عنه صرخ وهتف . .
هذا الإصرار الشديد على التقاليد وكل ما هو تقليدى . .

* * *

الساعة الثامنة تماما فى واحدة من مدن اليابان . . وفى البهو الكبير للفندق نزلت من غرفتى فقط لأنظر حولى . .

لفت انتباهى سيدتين داخلتين من الباب الرئيسى إلى البهو . . خلعتا الفراء الفخم عند عاملة الملابس ، وظهرتا بالكيمونو . .

لحظات وانضمت إليهما ثالثة . . ورابعة . . وخامسة . . وسادسة . . :
ياإلهى . . لقد أصبح البهو كله أشبه بخلية نحل من مرتديات الكيمونو . والكيمونو بأشكال . . تستطيع أن تلحظ مدى أناقة هذه الكيمونوهات . . كل سيد تنحنى للأخرى فى تحية لائقة . . البهو كله أصبح عبارة عن كيمونوهات تتحرك إ أسفل وإلى أعلى . . الكل يحيى . . والكل يبتسم . .
ولكن . . نساء فقط . . سيدات ، وفتيات هن فى الطريق إلى أن يصبح سيدات . .
* ما الخــبر ؟
أجابنى أحد عمال الفندق :
ـ حفــل . .
* ولـكن ، سيدات فقط ؟ . .
قلت أنا باستغراب . .
ـ نعم . . فمعظم حفلات السيدات . . للسيدات فقط . . شاى تجتمع حر السيدات ، أو ندوة . . أو أى شىء من هذا القبيل . .

* * *

ولم يعد هذا المشهد غريبا ، فقد تكرر عدة مرات . .

* * *

قالت لى صديقتى اليابانية التى تعرفت إليها فى إحدى جولاتى ، وتفضا باصطحابى أثناء عطلة نهاية الأسبوع :
ـ اليوم نذهب إلى المسرح . .
*** ولكننى لن أفهم شيئا ؟**
ـ ولا أنا . .
وبلعت هذه الاجابة . .
وأضافت هى :
ـ ولكننا سنتفرج . . فهذا أعظم مسارح اليابان ، وأغلاها . .
سألتها :
*** قبل الغداء أو بعده ؟**
سألتنى :
ـ هل أنت جائع ؟ . .

* قليـــلا . .
- إذن ، فلندخل لناكل . .
واكلنا . . وسألت :
- هل أنت جاهز الآن ؟ . .
* فى أى وقت يبدأ ؟ . .
- فى أى وقت . .
* لا أفهم . .
- إنه عرض مستمر . . ندخل فى أى وقت ، ونخرج فى اى وقت . . المهم أن
كون معك التذكرة . .

* * *

وغير بعيد عن المكان الذى كنا فيه . .
وقريبا من قصر الأمبراطور . .
المسرح . .
مدخله حديث جدا . . صور كل الفنانين والفنانات . . نكاد نكون وحدنا أمام شباك
لتذاكر . . لا يهم . .
اشترينا التذاكر . . دخلنا إلى قاعة المسرح . . شبه ظلام دامس لا يتغير ولا ينير
لطريق بداخله إلا تلك الأضواء المنبعثة من المسرح ذاته . .
* أين نجلس ؟ . .
سألتها أنا . .
- فى أى مكان . .
* بلا أرقام . .
- بلا أرقام . .
هذه الأصوات التى تصرخ على المسرح . .
تحسسنا أماكننا وجلسنا فى مكان ما وسط القاعة . . الأصوات لا تهدأ . . تعلو
ثيرا وتنخفض قليلا . .
الممثلون كلهم فى الكيموناهات المختلفة . .
الشعر ، كأنه غير طبيعى . . كله طويل معقوف . . الماكياج . . كثير جدا . . كثير
درجة ملحوظة . .
الرجال تبدو عليهم مظاهر القوة والبطش وكأنهم أبطال مصارعة يابانية . فى

حين أن نساءهم فى غاية الرقة والنعومة والأنوثة . .

همست فى أذن الآنسة « يـو » هذا هو اسمها . .

إننى حقا لا افهم كيف تكون نساؤكم على هذه الدرجة من الرقة بينما يوجد بين أبناء الشعب هؤلاء المصارعين ؟ . .

ـ اى نساء تقصد ؟

* هاته النساء أمامنا . . على المسرح . .

ـ لا يوجد نساء على المسرح . . هذا المسرح لا يوظف النساء . . كلهم رجال يقومون بدور النساء . .

. . مش ممكن . .

هكذا هتفت . . ولكن فى نفسى . . وكان صوتى الداخلى مرتفعا جدا . .

لحظات مرت . . بلغت هذه ايضا . .

سألت « يـو » . .

* المهم . . ماذا يقولون ؟ . .

ـ لا أفهم . . ألم أقل لك إننى أيضا لا افهم ، إنهم هنا يتحدثون بلغة يابانية قديمة لا ندرك معظم كلماتها وهم يتحدثونها بسرعة . . ولكن دعنى قليلا أقرأ البرنامج . .

* * *

ولم تمض أكثر من نصف ساعة . .

حتى كنا خارج القاعة ، نستمتع بجو طوكيو الجميل فى ذلك الوقت من بعد ظهر السبت . .

* * *

* أين نذهب ؟ . .

سألت « يـو » . .

* أتصور أننى أنا الذى أسألك . . فهذه طوكيو وليست القاهرة . .

ـ معك حق . .

تاكسى " . .

وقف التاكسى . .

فتحت « يـو » باب التاكسى لأدخل أنا أولا . .

ومع إحساسى بأن هذا يتنافى مع كل ما تعودته . . فى أوربا أساسا . . دخلت . . تفزت داخل السيارة . . ودخلت هى بعدى . .

وعندما يتوقف التاكسى ، ينتظر الجميع . . فالسائق وحده هو الذى يفتح الباب ، عن طريق آلة أو زرار أمامه هو تفتح الأبواب ، ولا تفتح بأى أسلوب آخر . . فهذا مزيد من الأمان والحرص . .

فى مكان ما وسط الشارع ، ولكن هناك بعيدا . .

نزلنا . .

* أين نحن ؟ . .

لم تجب يـو ، ولكن أخذت يدى ، ومضت تصعد بعض السلالم التى توصل إلى كوبرى علوى يعبر الطريق . .

وصعدنا الكوبرى . . لم نعبر الطريق . . وقفنا فوق ، منتصف الكوبرى تماما . . وأشارت يـو إلى تجمعات كثيرة من الشباب . .

* ما هـــذا ؟ . .

سألت مرة ثانية . .

هذا مكان لالتقاء شباب طوكيو . .

على طول الطريق . . أمام الكوبرى ، خلفه، تحته . . الشباب كله يرقص ، يغنى ، يفعل ما يريد . . ولا يوجد كيمونو واحد . . كله بالملابس الغربية التى نعرفها . .

● ● ●

وفى واحدة من القهاوى دخلنا . .

وطلبنا ، قهوة وأيس كريم . .

حاولت أن أدفع . . قالت « يـو » . . لا ، هنا كل واحد يدفع لنفسه . .

لا توجد انحناءات . . لا توجد كيمونوهات . . التقاليد هنا منعدمة . .

خرجنا من هذا المكان . .

كانت الساعة قد قاربت السابعة مساء . .

وصلت معى « يـو » حتى الفندق . .

طلبت منها أن تبقى للعشاء . . لا لشىء إلا لمجرد أننى أجلس وحدى فليس من السهل أن تتحدث إلى اليابانيين فى أى مطعم كما تفعل فى أوربا مثلا . .

ـ لا أستطيع . .

هكذا أجابت « يـو » . .

*** والسبب ؟ . .**

ـ طريقى طويل حتى أصل إلى المنزل . . ولا أستطيع أن أتأخر عن الساعة التاسعة والنصف . .

و « يـو » هذه طالبة فى السنة الرابعة والأخيرة من كلية الاقتصاد . . تتحدث اللغة الانجليزية ، إلى جانب اللغة اليابانية . .

روت لى يـو ظهر ذلك اليوم كيف أنها تسكن بعيدا عن الجامعة بحيث تحتاج إلى ثلاث ساعات للوصول إلى البيت والجامعة ، وقد حاولت أن تلتحق بواحد من بيوت الطالبات الملحقة بالجامعة ، ولكن الأسرة رفضت . . فالتقاليد تمنع انتقال البنت من بيت والديها حتى تتزوج . .

* والزواج ؟ . .

ـ تقليدى بموافقة الوالدين . . وغالبا ما تكون هناك معرفة بين العائلات ولو أن كثيرا من شباب اليابان يحاول أن يجعل الزواج أمرا منفصلا وموافقا عليه بين الشباب بعضهم وبعض ، ولكن . . الزواج عن طريق العائلات ، وحتى الآن ضرورة . .

فى صبيحة نفس اليوم ، كان لى لقاء مع « يـو » وعدد من زملائها شبان وفتيات. . أردت أن أتحدث إليهم أن أستطلع آراءهم فى كل ما يحيط بهم من أحداث . . وكان أهمها فى ذلك الوقت :

مطالبة الولايات المتحدة الأمريكية بأن تزيد اليابان من حجم إنفاقها العسكرى لحماية غرب الباسيفيك وهى المنطقة من المحيط التى تقع فيها جزر اليابان وتنتهى غربا بأرض الاتحاد السوفيتى . .

أردت أن أعرف أين يقف شباب اليابان من هذا ، هؤلاء الذين يتظاهرون فى الشوارع من أجل منع وضع صواريخ نووية جديدة فى أوربا . .

وهم . . هم شخصيا على حدود الاتحاد السوفيتى . .

هذه المسألة فعلا لا تشغلهم كثيرا . .

وكل ما يشغل بالهم هو : العمل دائما . . والمرح أحيانا . . بحيث يقول الوحد منهم عندما يترك صديقه مساء :

ـ اشتغل جيدا غدا . .

متى يقولون هذه الجملة ؟ . . عندما يفترق الأصحاب ليلا . . أو الأحباب ساء . .

إنها البديل اليابانى الوحيد لقولنا هنا :

ـ تصبح على خير . .

أو لقول الأوربيين « ليلة سعيدة » . .

إنهم فى صراع مع الزمن "

لقد استبدل اليابانيون بها هذه الوصية الخطيرة التى تبني مستقبلهم وتنسيهم ماضيهم القريب . . لأنهم باختصار فى صراع مع الزمن . .

هذا الصراع مع الزمن هو أسلوب اليابانيين فى كل ما يقومون به . . وهو التعبير الواضح الصريح الناطق بكل أفكارهم ، وهو أولا وقبل كل شيء ليس تمردا على تاريخ طويل عريق بالحضارة والأصالة . . وإنما هو انتفاضة عملاقة لشعب عملاق أراد أن يقول للدنيا كلها : إنى هنا . .

لا يهم أن تكون اليابان مجموعة من الجزر ملقاة متجاورة هناك على الطريق الشرقى من آسيا . . عند آخر الدنيا أو نهاية الشرق الأقصى كما نقول نحن . .

هم . . اليابانيون رسموا خريطة أخرى للدنيا . .

اليابان فى الوسط . . أمريكا إلى شرقها . . وأوربا إلى غربها . . وقالوا للدنيا جميعا : من هنا تشرق الشمس ! . .

وكما أن الساعة فى اليابان تسبق الدنيا كلها بتسع ساعات مختلفة . . فقد راحوا يخبرون كل بلاد العالم ، وعن طريق التليفزيون ودائما :

نحن نسبق الدنيـا .

عندما تكون الساعة فى اليابان الرابعة صباحا ، لتعلن يوما جديدا فإن الولايات المتحدة الأمريكية ما تزال تجر أذيال يوم قطعناه نحن وانتهينا منه . .

الساعة فى اليابان تسبق مصر بتسع ساعات وتسبق الولايات المتحدة الأمريكية بحوالى خمسة عشر ساعة . . وتسبق أوربا بثمانى ساعات إلى غير هذا . .

* فى اليابان قوات أمريكية ما زالت ترابط هناك منذ الحرب العالمية الثانية . . هل تدخلون الحرب مع أمريكا إذا قامت الحرب العالمية الثالثة ؟ . .

ـ لا . . نحن ضد الحرب . . إننا مع السلام . . لقد رأينا بما فيه الكفاية ما صنعت الحروب . .

هكذا أجاب مجموعة الشباب وأنا أجلس معهم هناك فى الكافيتريا الحديثة الملحقة بالفندق الكبير . .

* ولكنكم ملتزمون إلى حد ما بالدفاع عن غرب الباسيفيك ؟ . .

ـ ربما ملتزمون ماديا . . لكن ليس بقوة السلاح . .

* لكنكم مرة أخرى على بعد أميال بسيطة من الاتحاد السوفيتى ؟ أعنى من ناحية جزركم الشمالية . . ؟

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟ . .

أجابوا على سؤالى بسؤال آخر :

* أعنى أنه من الممكن وببساطة للاتحاد السوفيتى أن يهاجم أرضكم . . أو يتدخل فى شئونكم ؟ . .

ـ الاتحاد السوفيتى لا يدخل إلى أية أرض لها قوة اقتصادية . . وإذا تابعت دول العالم التى دخل إليها الاتحاد السوفيتى ستجد أنها كلها كانت فى مأزق اقتصادية شديدة . .

* ولكن الاتحاد السوفيتى ما زال يحتل ثلاثة جزر صغيرة فى شمال اليابان ولم يوقع بعد اتفاقية سلام . . لأنه إذا فعل هذا فإن أول شىء يجب عليه أن يفعله هو إعادة هذه الجزر لليابان ؟ . .

ـ إن السلام حقيقة واقعة ، وسوف تحل المفاوضات كل المتعلقات بيننا وبين الاتحاد السوفيتى مهما طال الوقت . .

إذن . . فالوجود الروسى لا يهم . .

والدفاع عن غرب الباسيفيك لا يهم . .
شيء واحد هو الأساس : الاقتصاد . .
والاقتصاد لا يتحقق إلا بالعمل . .
والاقتصاد يغزو الدنيا ويدفع إلى الاحترام . . والحرب القادمة هى الحرب الاقتصادية . .
لا . . الحرب الحالية هى حرب الاقتصاد . .
والدولة القوية لا ترمى تاريخها . . لا تلقى به إلى طى النسيان أو أعماق الزمن . . إنما تبقيه رمزا ، ومن هنا كان ارتباط اليابانيين الشباب قبل الشيوخ بكل ما هو أصيل ، وماضى وتاريخ . .

ومن هنا فإن الامبراطور هو رمز الدولة . .
والعائلة الامبراطورية شيء مقدس ، من قدسية السماء والأرض والزمن . .
ومن هنا أيضا كان الحب الحقيقي الذى يربط اليابانيين بامبراطورهم . .

*** كيـــف ؟ . .**

فى تصورى شاهد واحد يثبت هذا :
اليابانيون جميعا يعيشون اليوم فى بيوت اشبه بالعلب ، علب الكبريت . . بيوت أو شقق صغيرة قد لا تتعدى الشقة الواحدة فيها ستين مترا مربعا فى أحسن الأحوال هذا عندما تكون العائلة كبيرة ولها عدة أطفال . . وقد يمشى اليابانى الشاب إلى شقته ـ من عمله ساعات بالمواصلات العامة . . ولكنه

سعيد جدا بالقصر الامبراطورى فى قلب طوكيو وحدائقه . .
وسعيد جدا بقصر ولى العهد فى قلب طوكيو وحدائقه . . والشباب ، باختلاف الوانهم يشيرون إلى القصر وهم يقولون : كم هى جميلة حدائق القصر الامبراطورى . .

والامبراطور هو الرمز . .
وهو لا يتدخل فى سياسة البلاد . .
إنما السياسة حرة ، والحكم ديمقراطى والتنازع بين الأحزاب حق للجميع . . ورياسة الوزراء لمن يملك الأغلبية . .
وشخص رئيس الوزراء عرضة للهجوم من جانب الصحف . . وكذلك الوزراء . .
ولكن شخص الامبراطور مقدس . . لا يتحدثون عنه إلا بكل احترام ، وكثير من أبناء الشعب اليابانى يربطون بينه وبين السماء . . فهو من نسل الشمس . . أو هكذا يؤمنون . .

الفصل السادس

« الربيع . . وزهرة القنبيط »

بدأت لسعات البرد تصل إلى حدود طوكيو . .
كيف ترتدى بدلة بدون صديرى ؟ . .
لابد أن تحذر البرد ! . .
ألا تحس أن البرد قارس ؟ . .
هل القاهرة باردة فى الشتاء مثل طوكيو ؟ . .
وعشرات الأسئلة . .
ومئات النصائح . .

والحق أقول لك : لا البرد كان باردا ، ولا الثياب كانت خفيفة . . ولكنه حرص اليابانيين . .

إنهم يحسبون للخطوة الواحدة الف حساب . .

يفكرون كثيرا . . ثم يقررون . .

ولكى يكون التفكير فى الخط السليم فإنهم يضعون كل المحاذير نصب اعينهم . .

شتاء اليابان . .

أولا : احدثك عن شتاء اليابان . .

الشمس ساطعة . . تختفى أحيانا ، ولكن يجب أن أؤكد أنها ساطعة ، وأنها لم تختف على امتداد الأيام الطويلة التى بقيتها هناك إلا ساعات قليلة . .

ودرجة حرارة طوكيو نهارا وليلا فى ديسمبر لا تختلف بحال من الأحوال عن درجة الحرارة فى القاهرة ليلا أو نهارا . .

هناك أراض تغطيها الثلوج شتاء . .

قمم الجبال ، وبعض الوديان فى الطريق إلى هيروشيما . . ولكن ما أن تنزل إلى المدينة فإن الجو يصبح طبيعيا ، وتختفى الثلوج . .

وهى ، قد تمطر فى بعض مدن اليابان . . ولكن الأمطار لا تستمر ساعات طويلة . . فهى إذن أقل من أمطار الاسكندرية وأكثر من أمطار القاهرة ، ولكن طوكيو ذاتها لم تمطرمطرا حقيقيا طوال فترة إقامتى فيها فى شهر ديسمبر . . فقط قطرات . .

ولكن الحرص اليابانى . . أساس فى الحياة ، وأسلوب فى التفكير . . ومبدأ من مبادىء الوجود . .

وقد يكون هذا الحرص هو الذى أوصلهم إلى الاتقان . . ولا أستطيع أن أقول إلى الكمال . . لأن الكمال لله وحده . .

فى واحد من مطارات اليابان الداخلية . .

ركبنا الطائرة . .

ربطنا الأحزمة . .

تحركت المحركات . .

وانتظرنا . . وانتظرنا . .

وألقيت نظرة من الشباك إلى جوارى لأرى إن كان المرور الجوى مزدحما . . أو إذا

كان هناك طابور من الطائرات ينتظر الاقلاع . . لم أجد سوانا . . أو سوى الطائرة التى نحن فيها . . وهنا قال القائد :

ـ والآن نتحرك . . آسف للتأخير . . ولكن سلطات المطار كانت نصحتنا انه افضل إذا ما انتظرنا عشر دقائق . .

* * *

وفى الطائرة أيضا . .

وقبل أن تركبها يسألونك :

هل أنت مسلم ؟ . . هل أنت مسيحى ؟ . . هل أنت هندوكى ؟ . . والسبب وراء ذلك هو الطعام الذى يقمونه لك . . فالمسلم لا يأكل الخنزير . . والهندوكى لا يأكل كذا . . وكذا . . إلى آخره . .

والطائرة اليابانية كذلك هى الطائرة الوحيدة فى العالم التى تعد لك مقعدك . . وعليها وجهتك ، وعليها ديانتك . .

من دواعى الحرص . .

وفى الطائرة اليابانية أيضا تجد فى الحمام أكياسا صغيرة ، كل كيس فيه فرشاة أسنان ، وأنبوبة صغيرة جدا من معجون الأسنان ـ فى حالة إذا ما نسيت انت فرشاتك ، فالطريق طويل . .

من دواعى الحرص أيضا . .

والفندق اليابانى هو الفندق الوحيد فى العالم الذى يضع لك ، وكل يوم ، فرشاة أسنان جديدة ، وأنبوبة جديدة لمعجون الأسنان ، وماكينة جديدة للحلاقة بها أمواس جديدة ، وغطاء رأس للحمام ، وشبشب . . وروب فى صورة كيمونو ولبيسة للأحذية طويلة جدا بحيث لا تنحنى إلى أسفل لترتدى الحذاء . .

والفندق اليابانى هو الوحيد فى العالم أيضا الذى يطلب إليك ألا تترك الماء يتساقط من الصنبور « الحنفية » قبل أن تغادر الحمام ، فالماء : ثروة قومية . .

وعندما تفتح الباب لتخرج من غرفتك ترى أمامك ورقة كبيرة تسألك : هل أطفأت الأنوار ؟ . فالكهرباء ثروة قومية . .

من دواعى الحرص أيضا . .

وإذا مشيت فى الشارع ورأيت شكلا لبيت قديم ، أو جزءا من معبد بوذى

واقتربت منه ، فلا تفسد فيه شيئا فهذا البيت أو هذا الجزء من المعبد : ثروة قومية . .

....

وهكذا أخرج من موضوع لموضوع . .
هكذا اليابان تجعل الرأس زاخرا بالأفكار . .
أنا لا أحبها بقدر ما يشغلنى كل ما وصلوا إليه . .

فلنرجع إذن إلى الجو . .
لمسة برد ، وشمس مشرقة والزينات تملأ الشوارع . . نحن فى نهاية السنة وبداية السنة الجديدة . .
بابا نويل يحمل أكياس الملبس . . ويملأ النوافذ . . ولكنه بابا نويل يابانى بمعنى أنه أقصر قليلا ، وأكثر امتلاء . .
والزهور ؟ . . لا زهور ، فالزهور تتفتح فى الربيع ، ولكن ما هذه الزهرة الكبيرة التى تزدان بها الشوارع وتصطف خارج نوافذ المحلات وكأنها ديكور إلهى ارتسم فى كل مكان ؟ . .
ـ إنها زهرة القنبيط (القرنبيط) . .
هكذا قيل لى . .
وهى بالفعل تشبه القنبيط تماما برأسها والعصى الغليظة التى تحيط بها . . وفى مكان القنبيط ذاته نجد وردة كبيرة تفوح منها إلى بعيد رائحة القنبيط . .
زهرة كبيرة إلى هذا الحد . .
وقد لاحظت أن كل ما يزرع فى اليابان يتسم بالحجم الكبير . . فالتفاح مثلا أقل تفاحة يابانية أكبر من حجم ثلاث تفاحات أمريكيات مجتمعات . . والتفاحة الواحدة تساوى من ٢٥٠ ين إلى ٤٠٠ ين يابانى . . والبرتقالة ـ وحجمها عادى تصل إلى ٧٠٠ ين يابانى (أكثر من ثلاثة دولارات) فى المحلات التجارية . . ولابد أن أضيف أن الفاكهة اليابانية لها طعم جميل جدا . . أما الخس وهو أساس صناعة السلاطة ، فإن الخسة الواحدة تكاد تكون بطول وحجم طفل يابانى فى الخامسة من العمر . . بمعنى أنها تصل إلى ٦٠ و ٧٠ سم . . ارتفاعا ومحيطها يقارب نفس مسافة الطول . . ومن هنا فإن الخس يباع فى المحلات التجارية مقطع إلى قطع ولا يمكن أن تباع الخسة الواحدة ككل . .

أما ورود اليابان فهى تتميز بتعدد الأشكال والألوان والروائح . .

والورود اليابانية هى عنوان الربيع المتفتح ، وهى من رموز الحياة العظيمة ، وهى مرتفعة الأسعار أيضا ولكن اقتناءها أو زراعتها فى مداخل البيوت والشرفات ضرورة ، وعملية تربيتها له مدارس ، وكل هذه المدارس يطلق عليها اسم الإيكابانا ، لها كتب ومجلات وأخبار ودراسات ، وفى بداية كل سنة تصدر اليابان إلى دول العالم جميعا نتائج الإيكابانا أو أجندات الإيكابانا أو صور رائعة لفن تنسيق الزهور . .

« الچينزا . . وحلم الشباب »

لكل عاصمة وسط . . ولكل وسط مكان جميل يجتمع عنده الناس ، أو يمشون . . هكذا الوضع فى مدن الدنيا . .

أما فى طوكيو ، فوسط طوكيو أماكن كثيرة . . كلما رأيت إعلانا قيل إنه فى المحل الفلانى ، وسط طوكيو . .

وقد يبعد المحل الواحد عن الآخر خمسة عشر كيلو متراً . . ومن هنا كان وسط طوكيو أماكن متعددة . . كلها عمارات شاهقة . . كلها نظيفة . . كلها أنيقة . .

إلا الچينزا . .

فهذا شىء مختلف . .

كعقدة كل الأوربيين . . أو الشرقيين أو حتى الأمريكان ، أرادوا أن يقلدوا الشانزليزيه فى باريس . .

صنع اليابانيون الچينزا . .

وقالوا أن وسط طوكيو هو شارع الچينزا . . هناك يمشى الناس ، ويتفرجون على المحلات ، ويلتقى الواحد منهم بالآخر . . ويعرض الفنانون رسومهم ، وتجد المحلات الرخيصة والبوتيكات الغالية . . إلى غير ذلك . . مما جعلنى أرى فى الچينزا شيئا آخر غير الشانزليزيه ، وهو الكارتييه لاتين . . أو الحى اللاتينى - أو الحى القديم فى باريس . .

ومن هنا ، فإن شباب طوكيو يلتقون عند الچينزا . .

وسياح العالم لابد أن يروا الچينزا أو أن يمشوا فيه وإلا فقد فاتهم الكثير ، أو هكذا يقولون . .

لكنه من الصعب أن تجد شبابا مقيما فى حى الچينزا إلا هؤلاء الذين يعملون هناك . .

فالشباب فى كل مكان من العالم له آماله وطموحه وأحلامه أيضا ، وشباب اليابانيين لم يفقدوا هذه الآمال وهذا الطموح . . بل على العكس قد يكون من أكثر شباب الدنيا تمسكا بآمالهم وطموحهم . .

لكن أحلامهم لابد أن تتحقق وأن تتوازن جنبا إلى جنب مع هذه الآمال وذلك الطموح . . فالأحلام تشرد بهم بعيدا . . إنهم شباب من نوع خاص . . إنهم رومانسيون واقعيون . . هل هذا ممكن . . هل يمكن أن نطلق عليهم هذا التعبير هكذا . .

الاجابة نعم . .

إنهم رومانسيون يعيشون الماضى ويحيون عليه ويقدسونه . .

وهم واقعيون يعيشون الحاضر والمستقبل ويخططون له . .

هذه حقيقة شعب اليابان . . وآماله مرسومة . . وطموحه محسوب . . وأحلامه تأتى بناء على هذه القياسات كلها . .

والشباب اليابانى قادر على أن يهب نفسه لفكرة مفيدة . . ولكن بعد أن يدرسها جيدا . . فالحسابات تأتى أولا ثم يكون العمل . .

هكذا فى كل المشروعات . .

الحسابات تأتى أولا . . ثم يكون التفانى فى التنفيذ أو أن يهب الشباب نفسه لشىء معين . .

وهكذا الذى لن تستطيع لا أوربا ولا أمريكا تحقيقه . .

والمشكلة . . أو مشكلة العالم ، أن اليابان يعيش شبابه . . برومانسيته وواقعيته . .

اليابان يعيش تاريخه الذى لن ينساه . .

ويعيش حاضره وواقعه الذى يعمل له ويقدسه ويهب له حياته . .

من هنا كان العمل حبًّا . .

ومن أجل الحب يفنى الإنسان . .

العمل فى حد ذاته واقعية . . والحب رومانسية . .

وقد امتزج الاثنان معا . . فلتعلم الدنيا كلها أنه من هنا سيأتى الكثير ، الكثير . .

والشباب اليابانى بعد هذا شباب متحاب . . شباب مخلص . . وفى حياته الخاصة جدا يعيش هذه التجربة ـ يعيش واقعه الذى ينبع من داخله ، الذى هو مزيج من الواقعية والرومانسية . .

الزوجة الشابة تخدم الرجل ، وتقدسه . . وتخلع له نعليه عندما يصل إلى البيت . .

ولكن . . وبعد أن يخلع نعليه . . ويدخل إلى العتبات الأولى ، فإن البيت هو مملكتها . . على الزوج أن يقدسه وأن يحترم نظامه . . وأن يعلم علم اليقين أن الزوجة هى ربة البيت ، ومن هنا ، وعندما يفتح لك شباب اليابانيين قلوبهم فإنهم يقولون : أن مفاتيح البيت كله فى يد المرأة ، وأنهم يخضعون لسيطرتها : إذا جاز لنا أن نقول هذا التعبير . .

* * *

والبيت اليابانى ككل يحيا أيضا هذه التجربة . .

هذا الخليط بين الواقع والرومانسية . .

لم يعد على أرض مدن اليابان أماكن كثيرة فسيحة لكى تكون على الطراز القديم . . فأكثر الشقق مساحتها ٦٠ مترا أو ٧٠ مترا فى أحسن الأحوال . . إذن فالحياة لابد أن تكون عصرية ، أو غريبة كما يسمونها . . ومن هنا ابتكروا أحدث الآلات أو نقشوا آلات الغرب وأجهزته وطوروها ، ولكنهم احتفظوا فى بيوتهم بشيئين من تلك الرومانسية القديمة لكى يحيوها :

* أن تخلع نعليك عند الباب . .
* وأن يحتفظ كل بيت بما يسمى بـ : الغرفة اليابانية . .

هناك فى هذه الغرفة تجد دائما المنضدة المنخفضة جدا والتى تكاد تلامس الأرض . . والشلت الصغيرة للجلوس وأوانى اليابان القديمة التى ما زالت تستخدم فى الأكل والشرب حتى يومنا هذا ، وهم يصنعون منها كل يوم أكثر وأكثر . . وبعضها يستخدم حتى الآن فى كل المطاعم . . شرقية كانت أو غربية . .

فعندما تدخل إلى أى مطعم . .

والمطاعم نوعان : يابانية . . وغربية . . إلى أى منها دخلت . . فإن أول ما يقدم لك : الشاى الأخضر فى القدح اليابانى ـ بدون أذن (بدون ودن) . . وسلطانية الأرز المسلوق . . والعصاتان اليبانيتان لتأكل بهما الأرز . . ولا وسيلة أخرى . . بعد هذا تأتى الشوكة إن طلبتها لتأكل اللحم أو الخضروات أو غيرها . .

نفس هذه التجربة يحياها اليابانى فى الشارع . .

فهناك المطاعم اليابانية . . جنبا إلى جنب مع المطاعم الغربية . .

والمطاعم اليابانية أساسا نوعان :

المطعم اليبانى الذى لا يقدم لك إلا الأسماك النيئة وغيرها فى أطباق صغيرة متجاورة ومعها أنواع من الصلصلة بعضها خام به بعض الشطة وبعضها عادى . . ويجب أن أذكر أن هذه الشطات ليست كالأنواع المستخدمة فى الهند وباكستان وغيرها فهى معتدلة جدا . .

بروتين حيوانى أقل خضروات اكثر

وهناك المطعم اليابانى الثانى : التامبورا . .

وهذا قائم أساسا على عملية القلية . . أو أن كل شىء قابل للقلى فى الزيت امامك . .

وفى هذا المطعم لابد أن تجلس حول الطباخ .

بمعنى أن الوضع كأنك فى بار . . ومكانك هو على مقعد مرتفع أمام الطباخ الذى يقوم بدور البارمان . . ولكن الجميع يجلسون حوله . .

ويتمتع الطباخ بمساحة كبيرة مربعة أيضا يتحرك فيها فى كل اتجاه . .

الطباخ امامه عدة أدوات كبيرة ، مليئة بأنواع الأطعمة أساسها الجمبرى . . والخضروات . .

تدخل أنت إلى المطعم . .

تتخذ لنفسك مكانا . .

يأتى من يلبسك فوطة على صدرك ، ويربطها فى رقبتك غالبا ما تكون فتاة حسناء . .

تضع أمامك أطباقا صغيرة جدا . . وكوبا من الماء . . القراح . . والشاى الأخضر ، وسلطانية الأرز . .

يبدأ الطباخ عمله . .

إنه لا يخدمك أنت وحدك . . أنت والآخرين . . يضع الجمبرى فى الزيت المغلى . .

يقدم لك واحدة . . ثم لمن يجلس إلى جوارك . . وغيره وغيره إلى آخره . .

غالبا ما تجد أمامك وعاء دقيقا جدا فيه ملح ، وآخر فيه فلفل . . بعد هذا يقوم الطباخ بقلى بعض الكوسة ـ القرع ـ الصغيرة جدا . . أو الباذنجان . . أو القنبيط . .

ثم يعود مرة أخرى إلى الجمبرى . .

ثم الخضروات . . وهكذا . .

وهو يعطيك واحدة بواحدة . .

ويسألك بعد فترة من الزمن :

ـ هل شبعت ؟ . .

هذا الأسلوب أولا يريح المعدة جدا . .

وهذا الأسلوب ثانيا لا يسمح لك بالانقضاض على الطعام وها هو يملأ معدتك تماما . .

فأنت فى كثير من الأحيان تحس أنك أتعبته . . وهو بعد هذا كله لا يعطيك إلا كميات قليلة جدا من البروتين الحيوانى . . وكثيرا جدا من الخضروات . . وهذه نظرية المطعم اليابانى . .

بروتين حيوانى أقل . . خضروات أكثر . .

تعيش طويلا . .

من الممكن جدا وفى مطعم التامبورا أو أى مطعم آخر أن تطلب قطعة من اللحم ، لكن سواء كانت فى هذا المطعم أو سواه ، فإن اللحم يقلى ، ثم يقطع قطعا صغيرة . . ثم يقلى من جديد . . ثم يقدم إليك . .

بمعنى أنه لا مجال فى الطعام اليابانى إلى استخدام السكين وهو أول درس لاستخدام العصاتان الصغيرتان لأنك وقد قطع كل شىء أمامك أو قدم فى قطع صغيرة فلا شك أنك تحاول التقاطها بالعصاتين . . فلنحاول . .

* * *

والبروتين الحيوانى فى اليابان يعتمد على الأسماك . .

لأن الأبقار كلها مستوردة . . أو إن طعامها مستورد فاليابان لا تملك إلا ١٤ ٪ فقط من أرضها لتزرعها ، وتبنى عليها مصانعها . .

فإذا استخدمت حتى كل النسبة لزراعة ما يكفى لتربية الأبقار ـ فلن تكفى لأن يأكل اليابانيون الـ ١١٦ مليون . .

إذن فاللحم كله مستورد . . وكل اللحم عليه ضرائب واردات ومن هنا فإنه مرتفع الثمن جدا . .

وكان على اليابانيين أن يأكلوا ما ينتجه البحر . . من أسماك وجمبرى وقواقع . .

والأسماك هى الأساس كما قلنا فى المطعم اليابانى الذى يقدم الطعام النيىء . .

والجمبرى يقدم مع التامبورا ولا يمكن أن تحتمل الوجبة الواحدة للشخص الواحد أكثر من أربعة إلى خمس جبريات . . وأما القواقع فإنها تستخرج بكثرة لأنهم يحتاجون إلى قواقعها الفارغة لإعادة زرع اللالىء وتربيتها . .

وحتى الأسماك بدأت تتناقص . .

فاليبان مجموعة من الجزر . . وكانت سفن الصيد اليابانية تذهب إلى أقاصى الدنيا . .

ولكن بدأ العالم كله ينتبه . . وبدأت القوانين الخاصة بالمياه الاقليمية تأخذ مجراها . .

وكانت اليابان دولة متقدمة فى صيد السلامون . . وتصنيعه وتصديره . . إذن ، ما هو الحل . .

ومنذ سنوات قليلة جدا . . بدأت اليابان تأخذ اتجاهاً جديدا . . زراعة السلامون فى الأنهار . .

واتخذت حقل تجاربها الجديد فى الجزيرة الشمالية هو كايدو . . حيث طهروا الأنهار من الشوائب ، ثم بدأوا فى أخذ بيض السلامون لرعايته وتربيته فى أنهارها إلى أن بدأ يستوطن هذه الأنهار مرة أخرى . .

ويقول خبراء اليابان إنهم استطاعوا أن يزيدوا بذلك من نسبة العائد من أسماك السلامون إلى أنهار هوكايدو إلى ثلاثة أضعاف ما كانت عليه . .

أقول هذا فقط للتنويه على أن اليابان عندما تواجهها المشكلة فإنها لا تتوقف ، وإنما تمضى فى طريقها لتذليل هذه المشكلة حتى تتغلب عليها . . وهى تستعين على هذا بالصبر والمثابرة والعمل الجماعى الذى هو قمة الكمال فى الأداء . .

ببساطة إذا تحدثت إلى أى من أبناء اليابان فإنك تجده شخصية عادية جدا . . بلا مواهب متميزة أو قدرات خارقة . . فالرجل الأخضر لا وجود له . . ولكنه العمل الجماعى الذى يجعل من العمل الكلى أو العمل النهائى شيئا متكاملا . .

* * *

الفصـــل السابع

« ديزنى لاند طوكيو . .
المعركة الأخيرة»

شىء واحد تميزت به أمريكا . .
« والت ديزنى » أو عالم الملاهى . .
والت ديزنى التى بدأت تنتشر فى ولايات أمريكا . . فهناك ديزنى لأنه فى كاليفورنيا وديزنى ورلد فى ميامى وهيرشى بارك فى بنسلفانيا وجريت أمريكا فى كاليفورنيا أيضا إلى غير هذا . .
وديزنى لاند تتميز بالحركة والمرح . .
وديزنى لاند على الشاطىء الشرقى لليابان . .
ومن أجل ديزنى لاند يأتى سياح الدنيا إلى أمريكا . .
إذن هذه هى المعركة الأخيرة ! . .
وراحت اليابان تضع اللمسات الأخيرة لـ « ديزنى لاند طوكيو » . .
لا يهم أن يكون الاسم هو ديزنى لاند . .
ولكن المهم أم يكون اسم : « طوكيو » هو الأساس . .
وبجدية مطلقة . . أعدوا الموقع . . هناك إلى جوار طوكيو خصصوا لها ٨٢,٦ هكتارا . .

واجتمع ستة من أصحاب ملاهى اليابان ، واتفقوا على تخصيص مائة ألف مليون ين يابانى لإقامة المدينة الجديدة . .

أى حوالى ٥٠٠ مليون دولار . .

طبعا من الممكن جدا أن تتخيل أية مدينة ملاهى هذه التى تتكلف خمسمائة مليون دولار . .

والآن . . وفى هذه اللحظات ، تجرى اللمسات الأخيرة للانتهاء من افتتاح ديزنى لاند كوكيو التى أصبح من المقدر لها أن تفتح ابوابها فى ربيع ١٩٨٣ . .

وتوقع الخبراء اليابانيون الذين يرسمون ويخططون لكل شىء أن يكون عدد السياح الذين يزورون ديزنى لاند طوكيو بعشرة ملايين سائح سنويا ، إن لم يكن أكثر . .

ومعنى هذا باختصار ، أن عدد السياح اليابانيين إلى أمريكا بسبب والت ديزنى ، سواء فى ديزنى لاند أو ديزنى ورلد سينخفض . .

ثانيا : أن عدد سياح آسيا ، أعنى من أغنياء تايلاند أو هونج كونج أو سنغافورة أو اندونيسا أو كوريا سيجدون أن المسافة إلى طوكيو أقصر وأقرب . .

فلا يخفى على أحد أن أكثر من نصف حديث السائحين إلى أمريكا هو عن : مدن ديزنى . .

هذه حقيقة . .

والحقيقة الأبعد ، والأكثر درامية هى أن هذه هى معركة اليابان الأخيرة مع الولايات المتحدة ـ على الأقل للحقبة التى نعيشها . .

« الحرب » بعيدة عن فكر اليابانيين حاليا . . ولو أنها داخلة فى حساباتهم ، فمما لا شك فيه أن اليابان يملك سلاحا متقدما جدا لكنها لا تبيعه ـ غير مسموح لها ببيعه ، فهى دولة محتلة حتى الآن . . وبالتالى لا تملك الاعلان عنه ، ولكنه موجود . . ومتقدم جدا . .

إذن الاقتصاد هو المعركة . .

وفى عالم الاقتصاد فإن :

ووالت ديزنى ـ أو ديزنى لاند طوكيو هو معركتها الأخيرة . .

كيف ؟ . .

نعود إلى معركة الاقتصاد مرة أخرى . .
اجتماعات لا تتوقف بين الوفود الأمريكية والهيئات الرسمية اليابانية . .
المطــلوب :
*** خفض صادرات اليابان إلى أمريكا . .**
*** زيادة صادرات أمريكا إلى اليابان . .**
واستمرت الاجتماعات . .
أياما طويلة . .
تناقش الآتى :
الموافقة على التخفيضات الجمركية اليابانية على السلع القادمة من أمريكا إلى اليابان . .
وكان هناك اتفاقا يقول بأن هذه التخفيضات يجب أن تمشى واحدة بواحدة . . بمعنى تخفيض تدريجى فى الجمارك إلى حد معين حتى سنة ١٩٨٥ . .
وهذا يسمح بالتالى بزيادة الواردات الأمريكية إلى اليابان . . وهذا يسمح أيضا بزيادة تشغيل المصانع الأمريكية ويقلل من عمليات البطالة داخل الولايات المتحدة الأمريكية ، ويخفض من العجز الأمريكى فى ميزان المدفوعات . . إلى غير ذلك . .
وما الذى انتهت إليه هذه اللجان المشتركة من الجانبين ؟ . .
لا . . ما الذى بدأت به ؟ . .
لقد وجدت اللجان أن اليابان فى نهاية سنة ١٩٨١ قد وصلت بالفعل بتخفيضاتها الجمركية على الواردات الأمريكية إلى ما كان يجب أن تصل إليه فى نهاية ١٩٨٣ أو بداية ١٩٨٤ . .
إذن فلماذا الشكوى ؟
*** لمــاذا ؟ . .**
سألت أنا أحد كبار المسئولين اليابانيين . .
ـ لأننا ما زلنا نستورد القليل من أمريكا . .
*** ولماذا لا تستوردون أكثر ؟**
ـ ببساطة لأننا ، لأن الناس هنا . أبناء اليابان لا يريدون الواردات الأمريكية . . أنها لا تتفق مع أذواقهم أو لا تتفق مع متطلباتهم . . فهل نضرب الناس على أيديهم ليستخدموا كل ما هو أمريكى . .

منطق معقول . .

واضاف المتحدث :

ـ أننا لا نمنع الناس من استخدام ما هو أمريكى . . وبالتالى لا نأمر الناس باستخدام ما هو أمريكى . . هذه دولة حرة ومفتوحة اقتصاديا . . ومن حق كل الناس أن يستخدموا ما يشاءون . .

وأضاف المتحدث مرة ثالثة :

أسوق مثالا على ما أقول : إن تجارة اليابان إلى أمريكا عبارة عن نوعين أساسين وبعدها تأتى أنواع أقل أهمية : السيارات والأدوات الألكترونية . .

السيارات : السيارة اليابانية أصغر ، وهناك سيارات يابانية أكبر أو فى حجم بعض السيارات الأمريكية المتوسطة ، ولكن استخدام الوقود ـ البترول ـ فى السيارات اليابانية اقتصادى جدا ، ونحن نستورد مائة فى المائة من البترول المستخدم ، بمعنى أن البترول هنا مرتفع الثمن جدا ، ومن أجل ين واحد فى لتر البنزين يفضل الناس سيارة على أخرى ، ومن أجل هذا فالتنافس أساسا على صناعة سيارة تستخدم بترولا أقل . .

ثانيا : السيارات التى تصنعها اليابان تناسب شوارع اليابان ، فضواحى طوكيو مليئة بالحارات أو بالشوارع الضيقة ، وهى لا تسمح بمرور السيارات الأمريكية الضخمة ، وهى تسمح فقط بمرور سيارة يابانية واحدة فى اتجاه واحد بمعنى أن معظم هذه الحوارى موحدة الاتجاه . .

وثالثا : حتى على الرغم من أن البترول أرخص فى أمريكا بنسب كثيرة جدا فإن إقبال الأمريكان أنفسهم على السيارات اليابانية يتزايد كل سنة . . على الرغم من أن الحكومة الأمريكية تزيد فى كل سنة من القيود على الواردات بمعنى أنها ترفع الضرائب على دخول السيارات الواردة ـ وخاصة من اليابان . .

*** والسبب ؟**

*** هل هناك سبب آخر غير أن التكنولوجيا هنا فى صناعة السيارات أفضل ؟**

هكذا قال المسئول اليابانى . .

ونفس الأسباب تنطبق طبعا على تكنولوچيا صناعات الآلات الالكترونية . .
فمن العجيب أن الكثير جدا من الآلات الألكترونية المعقولة الثمن فى الولايات المتحدة الأمريكية هى صناعة يابانية وهناك آلات رخيصة وغير معمرة تصنع فى كوريا أو فى تايوان وغيرها . .

*** ولـكن كيف ؟ . .**

كيف أن اليابان تستورد كل موادها الخام . . كيف أنها لا تملك شيئا ـ حتى التكنولوچيا الأولية كانت قد اشترتها أو نقلتها أو . . ما يمكن أن نقول عنها ، ثم طورتها وهى تبيع أرخص . .

فى تصورى شخصيا أنه ـ ومرة أخرى ـ العمل . . وحب العمل . .
اليابان دولة لا تعرف الاضرابات . .
فالعمال لا يضربون . .
من حقهم أن يطالبوا بزيادة فى الأجور ، ولكنهم لا يضربون . .
إنهم يرسلون عنهم مندوبين ، يرفعون شعارا بما يريدون وتسمع شعاراتهم . . ولكنهم لا يضربون . .
لا يفسدون العمل ولا يحطمونه . .

وفى رأيى أن هذه الاضرابات هى التى أدت إلى انهيار الصناعات والتكنولوچيا والاقتصاد فى كل دول أوربا الغربية ، فرنسا وانجلترا أو غيرهما . . وهى الآن تنتقل إلى أمريكا لتحطم ما بدأته فعلا . .

الاضراب سلاح قبيح ذو حدين . . يمكن أن يقضى وببساطة على الاقتصاد ومن أساسه . .

ولكن من حق العامل أن يطالب بزيادة أجره ، وبأسلوب حضارى . . فالاضراب فى تصورى شخصيا ليس أسلوبا حضاريا لأنه يقضى على الصناعة التى هى أهم مقومات الحضارة ، ويقضى على المصنع الذى هو مصدر رزقه الأساسى ، ويدفع إلى التضخم الذى يقود العالم إلى مصير مجهول بالنسبة لقيمة كل العملات المستخدمة . .

« وظيفة لمدى الحيـــاة »

واليابانى يحب عمله . .

وصاحب العمل يحب العامل . .

وصاحب العمل عندما يعطى عملا لأحد العمال أو يوظف عاملا فى مصنعه فإن العقد لا يكون محدد المدة . . وإنما المدة هى العمر كله . .

اليابانى يدخل المصنع ليعمل فيه . . أو لنبدأ فنقول : ليتدرب فيه . . ثم ليصبح عاملا . . أو ملاحظا أو كبيرا للعمال أو عضوا فى مجلس الادارة . .

المهم أن العامل اليابانى يدخل المصنع ، ويصبح هذا المصنع هو بيته الثانى لأنه هنا سيمضى عمره أو الجزء الذى لا يمضيه فى البيت من عمره . . وحتى يحال إلى المعاش . .

ومن هنا يتحول المصنع إلى جزء من حياته . . جزء من كيانه . . شىء لا ينفصل عنه ، حتى يموت . .

وصاحب المصنع يحترم العامل . . ويكرمه . . ويعطيه كل ما تنص عليه القوانين ، وصاحب المصنع يحترم القانون . . ويحترم آدمية العامل . . وهكذا تولد الرابطة . .

لأن صاحب المصنع ذاته جزء من المصنع أو لأن المصنع جزءا منه ، ولأن العامل جزء من المصنع ، فإن الكل يصبح كلا متكاملا . .

هنا يكون النجـاح . .

وهنا يكون الانتـاج . .

وهنا يكون التفانى ، وتكسب اليابان المعركة . .

* * *

« وحـــتى أوربا »

وما حدث بالنسبة لأمريكا . .

يحدث الآن فى أوربا . .

وزراء أوربا ـ أو المجموعة الأوربية ـ الدول العشر : انجلترا وفرنسا وهولندا ـ بلچيكا ـ إيرلندة ـ إيطاليا ـ ألمانيا الاتحادية ـ الدنمارك ـ اليونان ـ

لكسمبرج يجتمعون ، وهم من أكثر دول العالم فى نواحى التقدم الصناعى ، يجتمعون . .

ومنذ أسابيع قليلة جدا . .

وبعيدا عن منظمة الدول الغنية التى تشترك اليابان فيها ـ وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية . .

يجتمع المجلس الوزارى للدول العشر ليقرر : الحد من الواردات . . وهذا الحد يعنى : اليابان بالذات ، لأن هناك حقيقة واقعة : أن سيارات اليابان والكترونيات اليابان بدأت تغزو كل الأسواق الأوربية بحيث بدأت مؤشرات موازين المدفوعات الأوربية تتجه إلى العجز فيما يتعلق بالتجارة مع اليابان . . وأصدرت المجموعة عددا من التوصيات تعنى أساسا : الحد من الواردات ـ ومحاولة تعويض النقص بين دولة وأخرى فى داخل المجموعة الأوربية ذاتها . . وإصلاح الخلل الاقتصادى الذى أدى إلى مزيد من البطالة . . فها هى ألمانيا الاتحادية تعلن أن لديها ٢,٨ مليون عامل يعانون من البطالة . . وانجلترا تعلن أن لديها ٣ مليون عامل يعانون البطالة . . وتنتقل العدوى إلى الدانمارك وبلچيكا وهكذا . .

إذن لعلاج البطالة . . والتضخم المالى ، والعجز الاقتصادى فى ميزان المدفوعات التجارى لابد من إغلاق الحدود الأوربية والإنتاج فى داخل المجموعة وتبادل السلع . . و . . و . .

ولكنهم جميعا نسوا عوالم أخرى . .

نسوا أراضٍ أخرى ستجرى المعارك عليها . . هذه الأراضى هى : آسيا وأفريقيا والعالم العربى وأمريكا اللاتينية . .

وأن هذه الأراضى كلها ما زالت أراض مفتوحة . . وأسواق تبتلع ، وحتى الآن ، كل ما ينتجه عالم الغرب . .

لكن اليابان دخلت بكتفها ، لتبعد العالم الغربى عن هذه الأسواق ولتبيع فيها منتجاتها الأرخص . . وأبعد من هذا لتنشىء أو تؤسس على أراضيها صناعات جديدة على رأسها صناعات السيارات والألكترونيات ولكن هذه المرة بالمعرفة اليابانية أو التكنولوچيا اليابانية كما يعرفها الجميع . .

على أرض أندونسيا ينتجون التويوتا . .
وعلى أرض تايلاند ينتجون المازدا . .
وعلى أرض أخرى بدأوا يزرعون فن صناعة الألكترونيات . .
وهــكذا . .
هذه هى المعركة الاقتصادية . .
شباب اليابان قالوا لى بالحرف الواحد :
ـ إن الشيوعية لا تدخل أرضا لها قوة اقتصادية . . واليابان تركت معركة الجيوش والدبابات . .
وفضلت أن تدخل المعركة الاقتصادية . .
اليابان تكتسح الميادين . .
والغرب ـ الولايات المتحدة الأمريكية أو مجموعة الدول الأوربية تصرخ .
والعالم كله ينتظر ويفكر : من سيكون المنتصر . .
ألا يأتى هذا إلى فكرك بصورة من بداية الإعداد الألمانى لغزو الدنيا عسكريا . .
مع كثير من الفروق طبعا . .

* * *

هيروشيما . . المأساة
هيروشيما . . الأمل . .

** وأشرقت الشمس على هيروشيما **

الفصل الأخير

دقت الساعة الثامنة من صباح ذلك اليوم الرطب من أيام أغسطس . .
خرج الرجال إلى أعمالهم . .
حمل الأطفال الحقائب خلف ظهورهم . . هذا وقت المدرسة . . قبلوا امهاتهم . . ومضوا إلى الطريق . .
ضحكاتهم . . صرخاتهم . . كلماتهم تملأ المكان كله . .
الصورة في وسط المدينة الكبيرة الصناعية ، هيروشيما تنبض بالحياة كما لم تفعل من قبل . .
آه . . هناك أطفال لم يخرجوا . .
لم تصل أعمارهم بعد إلى سن الدراسة . .

أو . . ربما هناك أسباب أخرى . .
هذا تنكو الصغير راقد على الفراش . .
منعته الحمى من أن يلحق بالرفاق . .
وهذه يا ماموتو ماسانورى ترجع إلى البيت جارية إلى أمها لتقول :
أماه أن جونلتى مقطو . . . .

...

رأت أختها الرضيع على صدر أمها . .

● ● ●

يوشيدا ساتومى راحت تسأل أمها عن واحدة من الطماطم التى اشترتها من الخضرى يوم أمس . .
هل أستطيع ،أم أكل وا . . . . . .

...

لم تكتمل الـكلمات . .
ففى هذه اللحظات . .
لا ، فى هذه اللحظة بالذات . .
عبرت طائرة أمريكية فى سماء أرض الصبية والبنات . . ومنها سقط جسم معدنى صغير كان خليطا من الحديد واليورانيوم . .
لا . . كان خليطا من الغضب واللعنات . .
وفتح الجحيم . .
نار الله الموقدة . .
لم تصنعـه يد الإلـه . .
فنار الله لا تشوى وجوه الأبرياء . .
وإنما صنعته يدى الانسان . .
ليكون عذاب الانسان على يدى أخيه الانسان . .
وتوقفت كل الساعات . .
المحـــركات . .
حشر الناس كلهم داخل القطارات . .

نار تشوى الوجوه . .
نار تحرق الأكبـــاد . .

النـــار يا أمى ! . .
هكذا كان يصرخ الأطفـال . .
وتمتد يد الأم الحزينة لتلحق بالصغير . .
ولكن اليد التى تتحرك من مكانها ، يسيح جلدها . . ويتمزق لحمها . . فلا تستطيع . .

النـــار فى جوفى ! . .
الأصوات كلها تصرخ . .
كل البيوت تساقطت . .
لم يبق إلا بيت واحد وسط المدينة . .
سقطت حجارته ولم يبق إلا هيكل من الصلب الملتوى . .
حتى قضبان القطارات ساحت . .
فمـا بال جسد الانسان . .

النـــار فى جوفى ! . .
أريد مـــاء . .
لكن المـــاء لا يصل . .
فقد ساحت المواسير ذاتها . .
وتحطمت الخزانات بأبراجها . .
حتى النهر الذى يقطع المدينة قد نضب . .
النـــار فى جوفى . .
الناس يستلقون بلا حراك . .
الجسد الواحد انشطر إلى اثنين . .
والأم وأطفالها التصقوا ببعضهم البعض ، فقد ساحت كل الجلود . . ولم يبق منهم إلا لحم آدمى تشويه الحرارة . .
وغطيت الأرض بالحجارة . .

هؤلاء الذين دفنوا تحت البيوت . .
فى صمت ، كان الواحد منهم يموت . .
أما الذى كان هناك فى العراء . .
فلا غطـــاء . .
ولا دواء . .
ولا حتى شربة ماء . .
النـــار فى جوف ! . .
تحامل البعض على سيقانهم الضعيفة . .
كانوا يمضون إلى طريق النهر . .
لا ليست هذه خطوة الأقوياء . .
إنما هى حثيث الضعفـاء . .
وفى النهر ألقوا بأجسامهم . .
كلهم ظمأى . . لشربة مـاء . .
هذا يوم من أيام الجحيم . .
حيث لا ينفع مال ولا بنون . .
إلا من أتى الله بقلب سليم . .

● ● ●

هكذا كانت الصورة فى هيروشيما . .

فى الثامنة والربع من صباح ذلك اليوم المشئوم صباح السادس من أغسطس سنة ١٩٤٥ . .

الحرب أجهدت كل الأطراف . . الحرب أجهدت أمريكا . . الحرب أجهدت أوربا . . الحرب أدت بهتلر مجنون ألمـانيا أن يسلم أعلامه وزعيم إيطاليا الفاشستى موسولينى أن يرفع رايات الاستسلام . .

ولم تبق إلا اليابان . .

هذه الدولة الصامدة ، وهذا الشعب العنيد . . هذه الأمة التى ضحكت على أمريكا فى بيرل هاربور فى بداية الحرب ، وعذبتها حتى النهاية . .

هذا الشعب لا يعرف الاستبسلام . .

إذن ، ما هو الحــل .

واجتمع الحلفــاء . .

وكان القرار . .

طائرة أمريكية . . تحمل سلاح الدمار إلى هيروشيما . . ولماذا هيروشيما بالذات ؟ . .

لأنها المدينة اليابانية صانعة السلاح . . آذن ، عندما نضرب هيروشيما . . نكون قد ضربنا الجيش اليابانى فى إمداداته . . وضربنا الشعب اليابانى فى روحه وذاته . . وحطمنا روح الاصرار والعناد . .

وتحركت الطائرة . .

وفى الساعة الثامنة وخمسة عشر دقيقة بدت الطائرة فى سماء هيروشيما . .

وفى وسط المدينة تماما ، حيث كان آلاف الناس يتحركون إلى المصانع . . إلى المتاجر . . إلى المدارس . . إلى المحطات . . إلى أى مكان . .

ألقت الطائرة بحملها . .

قنبلة واحدة صغيرة صنعت من الحديد واليورانيوم . .

وعلى بعد أمتار من إحدى المستشفيات انفجرت القنبلة وصعد منها دخان . . ليصنع شيئا أشبه بمارد من السحب الكثيفة ، ترتفع إلى عنان السماء ، ولتلف المكان كله تحت طياتها فى حدود كيلو مترين مربعين ، ولتصنع حريقا فظيعا وما هو بحريق ، وإنما نار تكوى الأكباد وتصهر الفولاذ وتدمر المنشآت . . وتشوى الأطفال الرضع فى أحضان الأمهات . .

ولم تذهب السحابة اللعينة بعيدا . .

فقد حصرتها الجبال السبعة التى تحيط بمدينة هيروشيما فى داخلها لتبقى مدة أطول وأطول ، فلا تحركها الرياح إلا قليلا . . قليلا . .

مائة وأربعين ألفا ماتوا فى الحال . .

مائة وأربعين ألفا من أبناء هيروشيما احترقت أجسامهم فى الحال بفعل هذا الدخان الحارق . .

واكتمل العدد إلى أكثر من مائتى ألف نسمة خلال الأسبوع الأول . .

يكفى فقط أن نتخيل مائتى ألف نسمة فى مدينة واحدة سنة ١٩٤٥ . .

هيروشيما القديمة سويت بالأرض تماما . .

لم يبق منها غير الصور التى التقطت لعذاب الناس ، لا أدرى كيف . .

وكأن الله سبحانه وتعالى أراد أن يبقى صورة حية باكية للناس ، لتكون شاهدا على قسوة الانسان على أخيه الانسان . .

صور لأشكال غريبة . .

لأناس تحترق . .

وهى كلها خارج نطاق الـ ٢ كيلو متر مربع التى سقطت وسطها القنبلة . .

ففى هذه المساحة لم يبق أحد من الناس . .

ولكن حتى خارج النطاق . .

كان الموت أهون . .

أجساد تلتصق ببعضها البعض . . أيد ممتدة إلى الأمام ساح الجلد عنها فلا تستطيع العودة إلى مكانها حتى لا تلتصق . .

وحدات إنقاذ . . المشرفون عليها هم أنفسهم فى حاجة إلى إنقاذ . .

النهر يفصل بين الحدود . . حدود الـ ٢ كيلو متر وحدود ما وراءها . والناس من وراء الحدود يرون أخوتهم وأبناءهم وآباءهم يلقون بأنفسم إلى النهر طلبا لشربة ماء تطفىء النار فى داخلهم . . وما تنطفىء . .

الملابس مزقت . . احترقت ، وكأن عمرها ألف سنة . .

النـــار تشتعل فى كل البيوت الخشبية ولا يوجد ماء لاطفائها .

وكأن الجبال السبعة هى سور حول المدينة . . فلا دخول ولا خروج .

●●●

ولـــكن . .

ووسط هذا الجحيم . .

بقى فى هيروشيما شىء واحد . .

الاصرار على العمل . . والفرد فى خدمة المجموع . .

أمامى الآن صورة لجندى من جنود هيروشيما . . رأسه مربوطة . . جروحه

ظاهرة ، أسماله باليه ، فى قرابة الثانية ظهرا من ذلك اليوم المشئوم وقد جلس إلى منضدة صغيرة وامامه طوابير من أولئك الذين أثرت فيهم القنبلة . . ولم تقتلهم . . كل شيء بنظام . . وكل شيء يعمل حسابه ، حتى إذا جاز لنا أن نقول - بعد الفنــاء . .

ما زال هناك نفس . .

وما دامت هناك عروق تنبض ، . .

فلابد من العمــل . .

والشعب اليابانى شعب متماسك . . شعب عريق . . له أصول وتقاليد . . ولا يمكن أن تنبع الأصول والتقاليد إلا من وسط أسرى سليم . .

والأسرة متماسكة . .

ومن أجل هذا كانت الملحمة الأسطورية التى عاشتها هيروشيما . . .

ولكن ما هى معانى هذه الملحمة وكيف مضت إلى الأمام لتحقق سبيلها إلى الخلود . .

هذه هى التفاصيل . .

● ● ●

وفى لقاء مع عمدة هيروشيما . . وهو من ضحايا القنبلة الذرية . . واحد من أولئك الرجال الذين كانوا خارج النطاق . . فى وجهه ١٨ عملية جراحية استخدم فيها البلاستيك بدلا من الجلد البشرى . .

فى لقاء معه . . سألته :

* متى عــاد الناس ؟ . .

أعنى متى عادت الحياة إلى هيروشيما . . متى عاد هؤلاء الذين نجدهم الآن فى شوارع هيروشيما وهى تضج بالحياة مرة أخرى ؟

أجاب الرجل اليابانى الأصيل . .

ـ متى ، أقول لقد فهمنا فى البداية أنه لا أحد يخرج ولا أحد يدخل قبل أن تمضى أربعون سنة على الأقل . . هنا يكون الغبار الذرى بلا أثر . .

* ولـكن . .

قلت أنا :

وقاطعنى هو :

ـ أعرف أنك ستقول ، ولكننا الآن ، وهذه الحياة الكاملة على أرض هيروشيما ولم يمض حتى الآن أربعون سنة . .

* نعـم . .

ـ فاسمع هذه الحقائق إذن :

عاد الناس بعد أسبوع . .

الدهشة على وجهى رسمت علامة واضحة وأنا أقول:

* مش ممكن . .

ـ إذا كانت هذه هى دهشتك إذن فاسمع ما هو أروع :

ـ عاد الناس فى اليوم التالى . .

سكت العمدة لحظات ليرى أية علامات أخرى سترتسم على وجهى . . ولم يعط فرصة كبيرة أتجرع فيها الصدمة وراح يؤكد :

ـ هذه هى الحقيقة . .

نحن اليابانيون شعب له أصول . . شعب له نظام أسرى . . شعب مترابط . . الأب يسأل عن ابنه وابنته وزوجته . . وما الذى حدث . . كان الكثير من الآباء أو الأبناء خارج نطاق الكيلو مترين . . أو خارج المدينة كلها . . وكانت القنبلة . . كانت النار . . كان الجحيم . . كان هذا الغبار القاتل . .

لا يهم . .

ولكن المهم أن بعض أبناء الأسرة فى الداخل . .

تخيل أنت أنك خارج بيتك . . وأن النار قد تأكل البيت . . وأن أبناءك داخلها . ماذا تفعل :

* ألقى بكل جسدى إلى داخل البيت للانقاذ أو أموت . .

قلت أنا بتلقائية مصرية . .

قال العمدة :

وهذا ما حدث . .

أن ما لديكم من روابط هى لدينا أيضا . . فنحن أبناء شرق واحد ، وطبيعة واحدة . .

البيت يحترق ، والأبناء بالداخل . . لا يهم الحريق بقدر ما يهم الانقاذ أو ليجمعنا قدر واحد . .

وهذا ما كان . .

عاد الناس إلى هيروشيما فى اليوم التالى . . أو فى مساء اليوم ذاته . . ليس مهما من يجدوه . . مهما كانت أشلاء ذويهم . . المهم أن يجدوها . . أن يطفئوا الحريق . . وان يدفنوا الأشلاء . .

وأن يقيموا أروع المقابر على احدى الروابى المطلة على هيروشيما . . والبخور رائحتها لا تتوقف . . والورود تحيا بانتظام . .

ومضت الأيام . .

واعتاد الناس ان يعيشوا على أرض هيروشيما من جديد . .

فقد اصبحت قصة هيروشيما قديمة بعد ثلاثة ايام على وجه التحديد . .

عندما عادت نفس الطائرة الملعونة . . بنفس القنبلة القاتلة بعد ان خلطوها بالبتلونيوم هذه المرة وليحصدوا بها أرواح مائة وسبعين ألفا من ابناء نجازاكى فى الحال ولتقف بعدها الحرب العالمية الثانية . .

وليستسلم اليابانيون . . أو هكذا تصور الحلفاء . .

ولكن الصورة تقف هناك . .

الألم فى النفوس . . النار ما زالت تحرق الأكباد . . النار بعد لا تنطفىء . .

بدليل :

انه حيث سقطت القنبلة . .

فى نفس المكان بالتحديد . .

أقيم قبر الشهيد . . مائتى ألف من أبناء هيروشيما . . وعلى بعد خطوات منه متحف هيروشيما . . بعد أن صنعوا نموذجا لكل ما حدث . . كل ما حدث

بالبلاستيك الطرى ليكون شاهدا على حريق النفوس والجلود وهى تسيح . .
وتحت المتحف ، نافورة لها عدة فوهات لا تتوقف مياهها . .
والسبب :
هذا هو الماء الذى مات أبناؤنا . . وأخوتنا وأمهاتنا وآباؤنا وهم يطلبونه . . يصرخون طالبين شربة ماء . . هذا هو الماء أيها الأبناء . . فلتشرب منه أرواحكم الطاهرة حتى ترتوى . .
أما نحن . . فالمتحف هناك . . باق ، يعيش بيننا وفى كل ساعة نعيد قصة المأساة وقصة التجربة الانسانية اللعينة الخالدة . . حتى لا ننسى ، ولا تنسى أمريكا . .

* * *

« خـروج إلى الحيـــاة »

هيروشيما الجـديدة . .
ربما عشرة أضعاف هيروشيما القديمة . .
ولكنها . . تحيا بروحها . . وهى نتاج تجربتها ، وقطعة من فكرها . .
فبين هؤلاء اليابانيين الذين يمشون فى شوارعها ويعملون فى مصانعها ويأكلون فى مطاعمها أناس عاشوا التجربة . . ولكن خارج نطاق الكيلو مترين . .
وماذا صنعوا؟
هؤلاء الناس ، وأخوتهم وأقاربهم بنوا هيروشيما الحديثة . . بنوا واحدة من أجمل مدن الدنيا . . ولكن أبقوا هيروشيما داخل نطاق الجبال السبعة . . فأنت تراها وأنت تدخل المدينة بالقطار . . أو تهبط بالطائرة . . ولكن هذه الجبال السبعة حالت دون أن تمضى السحابة القاتلة وتتركهم . .
لا بأس . .
واحد من هذه الجبال أصبح مزارا عاما . . بعد أن دفنت الأشلاء فيه . . واقيمت المعابد حولها . . وكلما صعدت مترا أو مترين وجدت تمثالا لآلهة

الرحمة ولها معالم بوذا . . كأن أبناء هيروشيما الذين عاشوا يطلبون من آلهة الرحمة أن ترحمهم . . فهم شهداء . .

فوق قمة الجبل واحد من أكبر المعابد . . هناك على بابه كشك صغير فيه قديس . . إذا ما وصلت إلى هناك ، لابد من أن يعطيك تميمة . . تحميك من شر الطريق . . وكأنه يدعو ألا يحدث لك ولبلدك ما حدث فى هيروشيما . .

وجزء آخر من هذه الجبال حطمه أبناء هيروشيما الحديثة ليكسبوا مزيدا من الأرض فى البحر . .

صنعوا نفس تجربة هولندا ، فى أرض هولندا الجديدة . . عندما أغلقوا قطعة من البحر ، وراحوا ينشئون عليها مزارع ومعامل هولندا الحديثة . .

هنا . . فى هيروشيما حطموا جزءا من الجبل . . وأغلقوا بها جزءا من البحر . . وعلى هذا الجزء أنشأوا أحدث مصانع السيارات فى اليابان : مصانع توجو كيوجو . . وهى نفس المصانع التى تنتج سيارات مازدا الشهيرة . .

وكانت زيارتى لهذه المصانع . .

مصانع مترامية الأطراف بلا حدود . .

الآلية تتحكم فى كل شىء . .

آلات ضخمة جدا تحمل قطع السيارات . . تمضى بها عبر سير أو شريط معدنى سميك جدا . . تتقدم إلى حيث يقف العامل ، العامل الواحد يقف فى مكانه فى وضع استعداد ، حتى تصل قطعة السيارة إليه . . يقوم بتركيب الجزء المطلوب منه . . وهو يصنع هذا بكل سرعة ، وهو غالبا ما يتشعلق (يتعلق) بالسير وبالقطعة حتى يتمكن بسرعة مطلقة من تركيب الجزء المطلوب منه . . ثم تقفز إلى الأرض ، ويعود ويتعلق بالقطعة التالية . .

وهــكذا . .

كل عامل فى مكانه . .

وهم يقفون أو يتخذون أماكنهم فى أوضاع متتالية . . بحيث يتولى كل فرد عمله وبأسرع ما يمكن . .

وهناك إلى جانب هذا كله قطع تدخل آليا لتلحق بقطع أخرى . . ولكن على العامل التالى أن يطمئن على سلامتها . .

وفى نهاية المطاف . .

بعد أن تقطع مئات الأمتار سيرا على الأقدام داخل المصنع يكون العمل قد اكتمل . . والتجارب أيضا قد اكتملت . . والسيارات أمامك . .

فى كل ثلاث دقائق أو أربعة تخرج سيارة كاملة . .

عدد من السائقين التجريبيين فى الانتظار . . يقفزون إلى السيارات . . يقودونها . . يجربون كل شىء فيها . .

هذا هو الاختبار الأخير . .

ومن هذا المصنع وحده تخرج كل ساعة عشرات السيارات . . وفى كل سنة سبعمائة ألف سيارة . . ومن هذا المصنع ومن توأمه مليون وأربعمائة ألف سيارة من نوع واحد . . هو المازدا . .

وهذا غير ملايين السيارات من أنواع أخرى . . هناك النيسان : الانتاج رقم ٢ فى اليابان وتويوتا . . الانتاج رقم ١ وغيرها . .

ولكن المهم عندنا هو : لماذا المازدا ؟

لمـــاذا ؟ . .

لأنها هنا تُنْتَج . .

على أرض هيروشيما . .

ومن أرض هيروشيما تطير الصواريخ . . تسقط القنابل الاقتصادية ، كل يوم على رأس أمريكا . .

هذه السيارات توقف الانتاج فى امريكا . . فالناس هناك يفضلونها . . إذا فهى تغلق المصانع . . تُعطِّل العمال . .

....

ومن هنا جاءت هذه الفكرة . .

لقد ألقتْ أمريكا قنبلة واحدة على هيروشيما فى الثامنة والربع من صباح السادس من أغسطس ١٩٤٥ . .

وبعدها . . لم تنس اليابان ما فى نفسها ، ومن ثم ، فهى تلقى كل صباح قنبلة على رأس أمريكا . . ولكنها قنبلة اقتصادية . . قنبلة أكثر حنانا وإنسانية . . قنبلة لا تلقى هكذا ببربرية . . وإنما يدخل إليها كثير من الفكر . . والأصالة . . والتكنولوچيا . .

طارق فودة

* * *

وطوكيو هى ازحم عواصم الدنيا

من اجل هذا كان المرور مشكلة .

وخرائط المرور وتكنولوجيا الادارة هى اهم ما يميز العاصمة اليابانية .

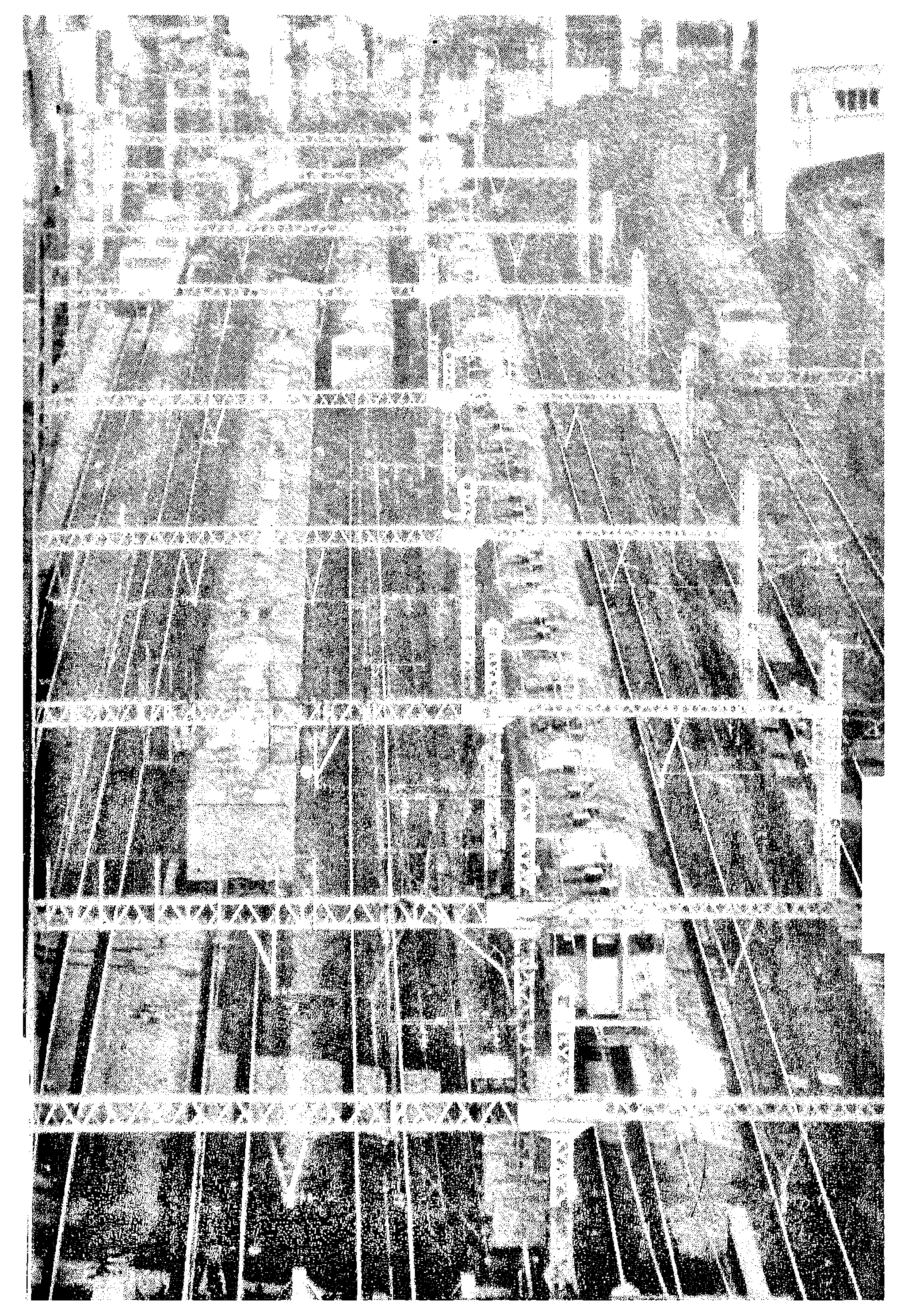
الخرائط امام الخبراء . وكذلك شاشات التليفزيون تظهر كل الأحوال . . الاختناقات وهم يوجهون المرور فى كل مكان بناء على تعليمات الكومبيوتر ، وكذلك بناء على ما يرونه أمامهم على شاشات التليفزيون .

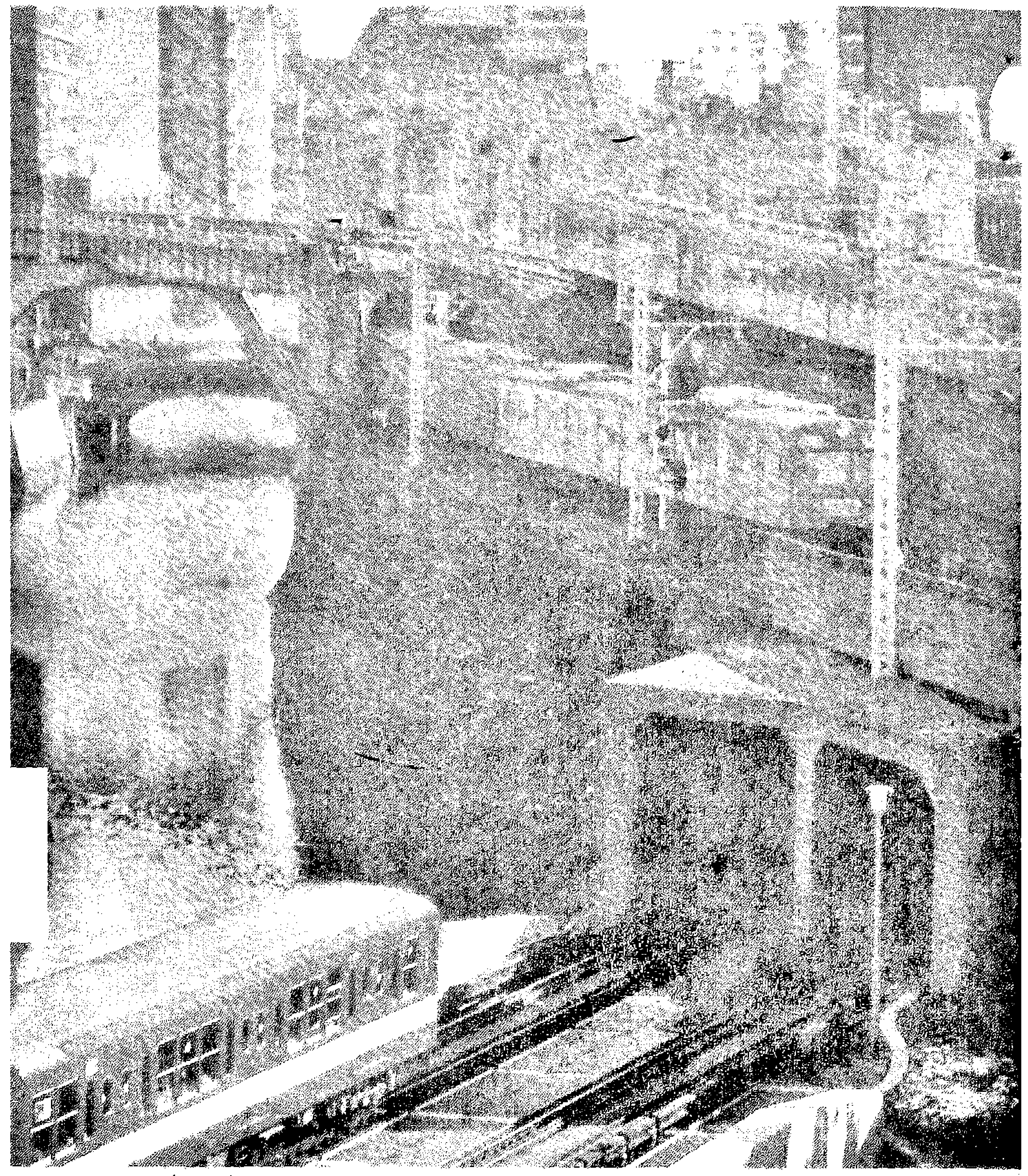
وهكذا فقط يستطيعون فى التحكم فى عاصمة من اكبر عواصم الدنيا ويعيش على ارضها ١٦ مليون نسمة .



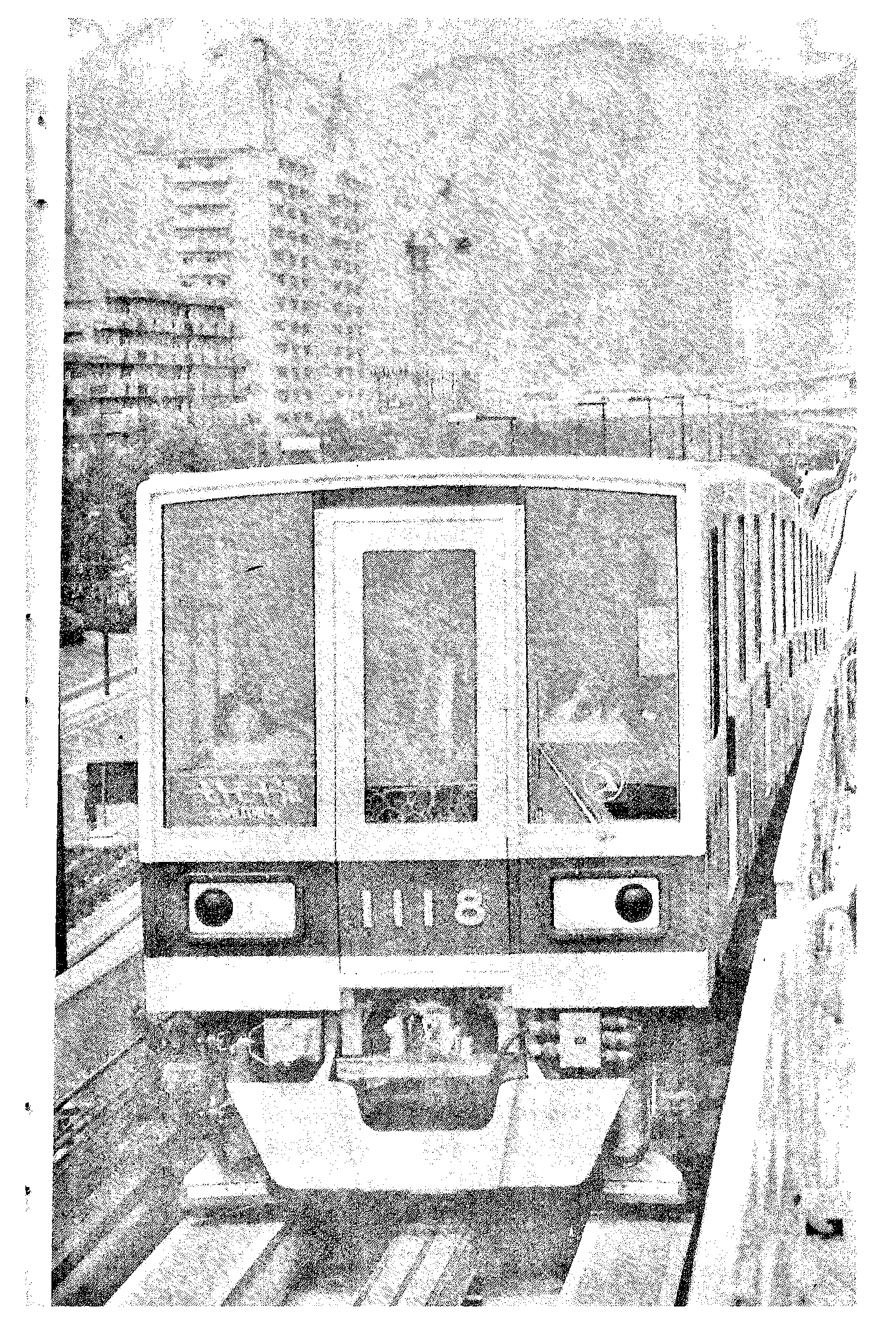






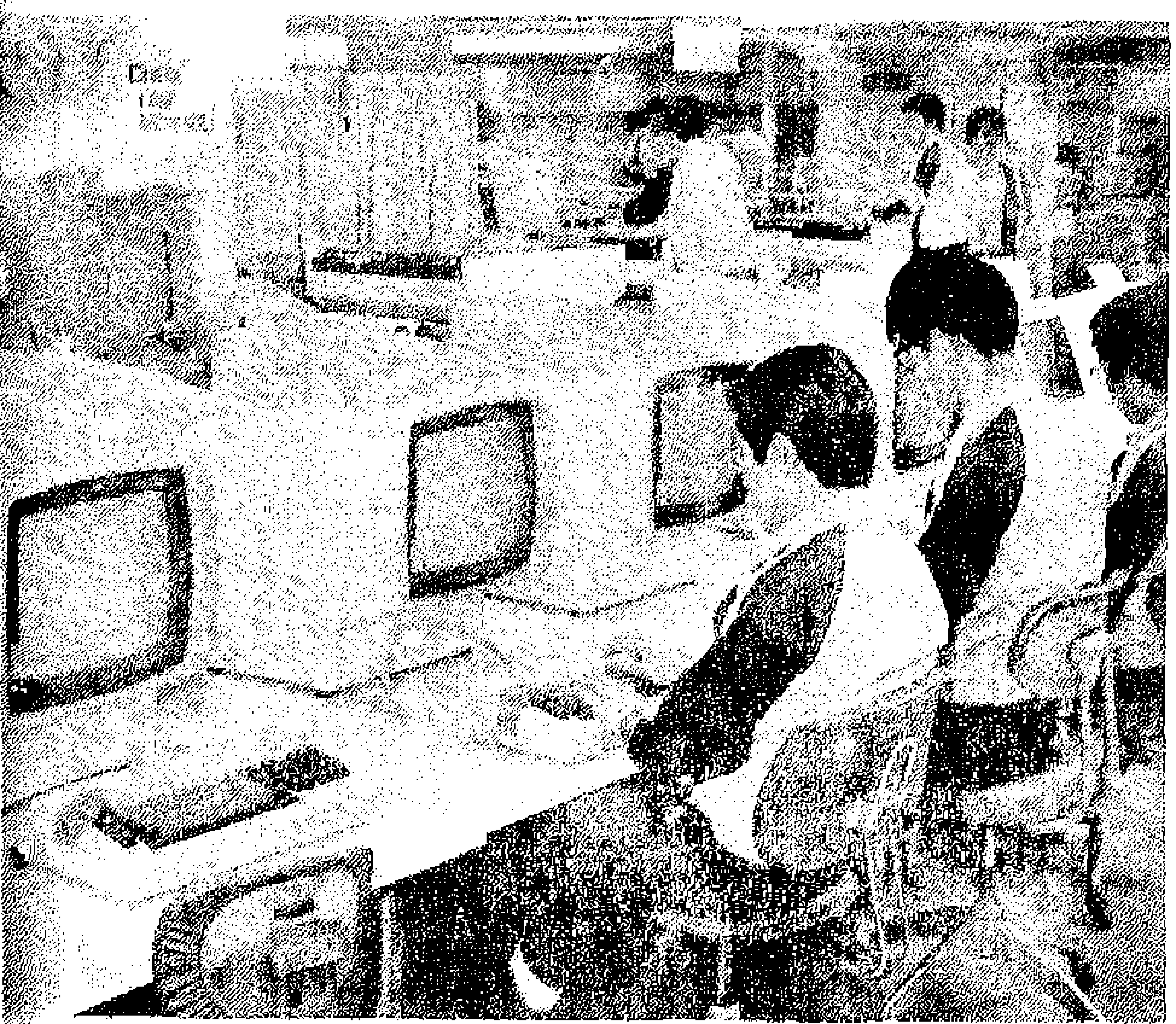


وشبكات القطارات على ارض اليابان بين القديم والحديث . . ولكن كله يمضى بحساب . . وكله يقف فى المحطة . . وكله يقف عند النقطة المحددة له تماما وفى الوقت المحدد له بحيث يستطيع كل الناس اداء مهامهم بشكل إنسيابى . . حتى اطفال المدارس لا خوف عليهم من ركوب القطارات او مترو الانفاق . . فهناك الحرص اليابانى الشهير يحمى الأطفال والنساء والشيوخ واصحاب العاهات ايضا . .

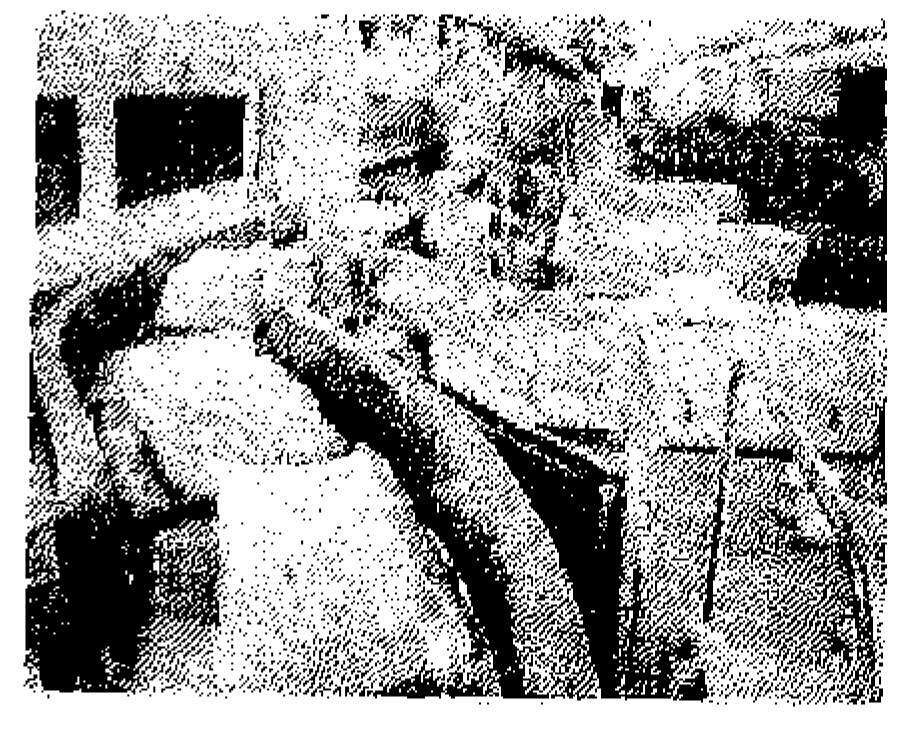

1118

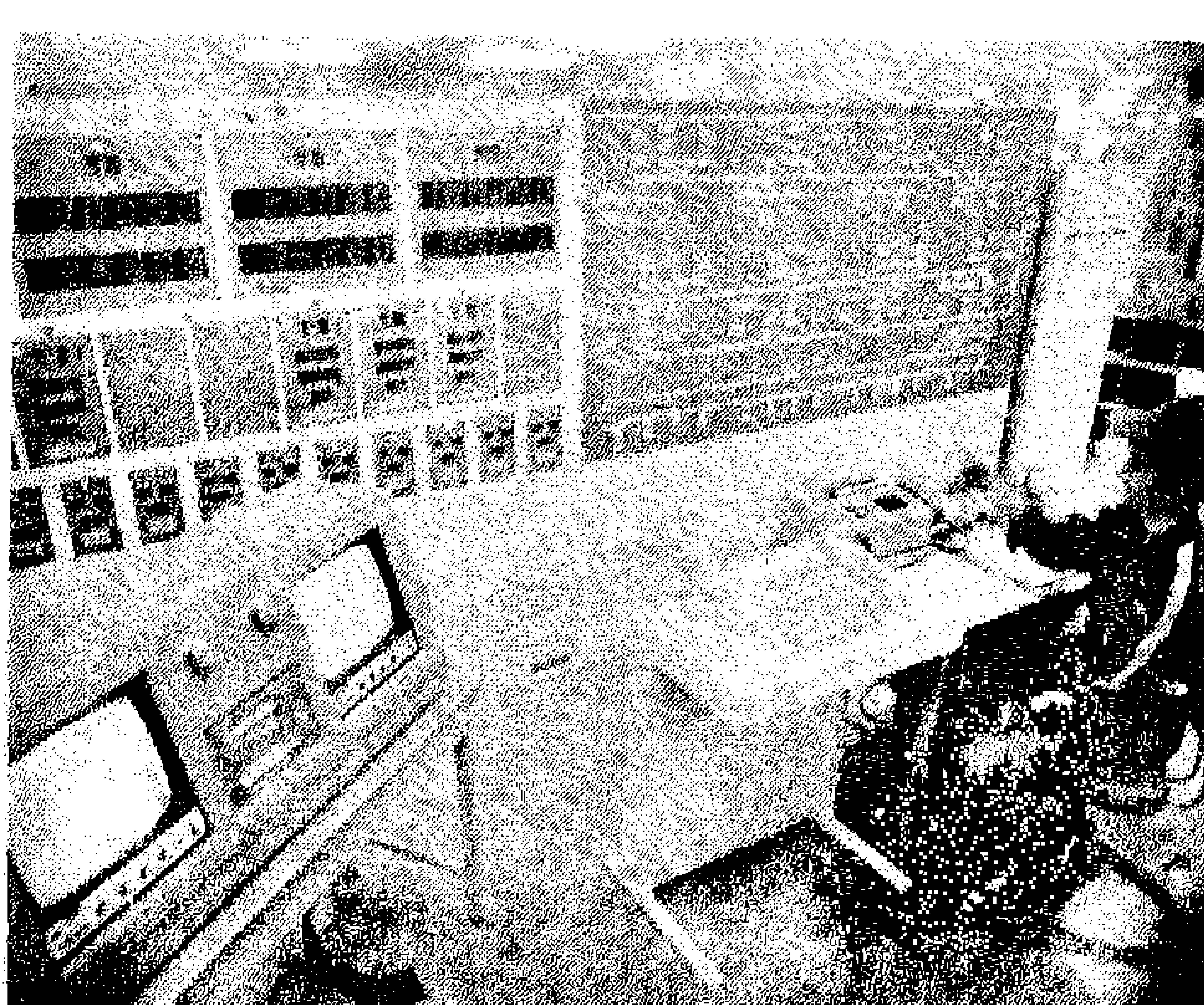
صورة من فوق ، للمترو الذى يمشي تحت . .

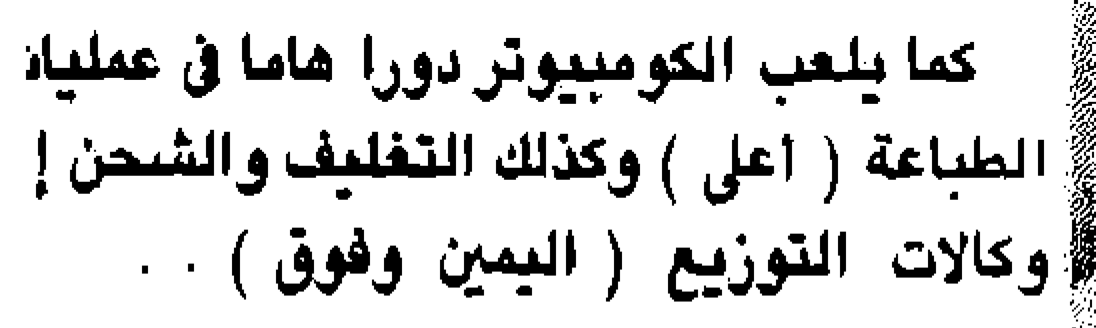
ويظهر الحرص اليابانى الشديد عندما يكون لقاء المترو بالناس . . فهناك الدرابزين الحديدى وكانه يحمى الناس جميعا من خطر السقوط . . الأمان مكفول فى كل شىء .



الصحف ايضا دخلتها التكنولوچيا الحديثة . . وهكذا إستطاعت اليابان أن تطبع وتشحن ١١ مليون نسخة من صحيفة واحدة .







كما يلعب الكومبيوتر دورا هاما فى عمليا
الطباعة (أعلى) وكذلك التغليف والشحن إ
وكالات التوزيع (اليمين وفوق) . .


魚の金

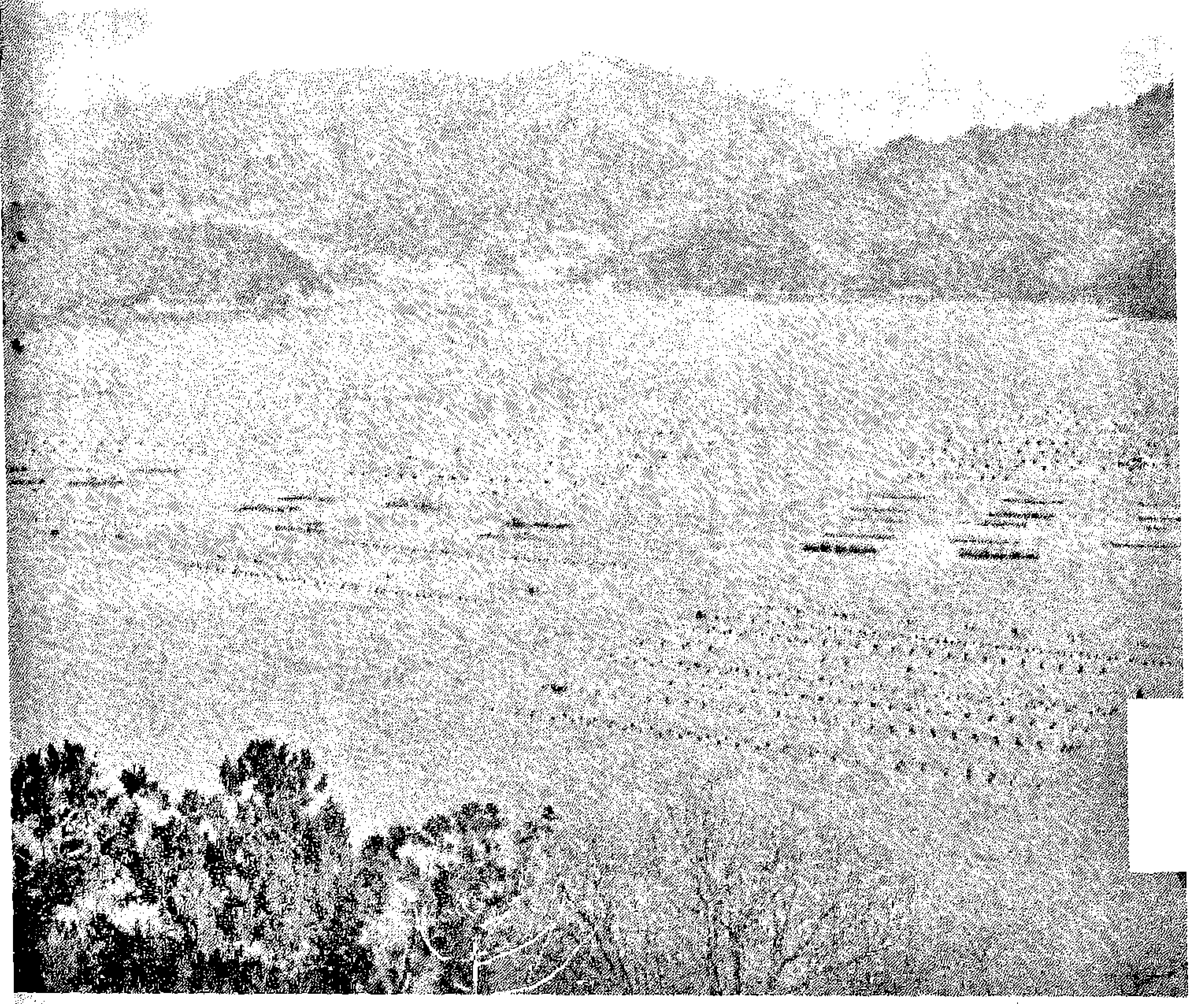
المطبخ الياباني :

قائم اساساً على الاسماك ومنتجات البحر . وهم يقومون بتقديم الاسماك نيئة بعد ان يقومون بزخرفتها وعمل ديكورات رائعة لها إذا جاز لنا ان نطلق هذا التعبير . وفى هذه الصور الثلاث تظهر محلات الاسماك . ثم يظهر احد البائعين فى هذه المحلات وهو يقوم بتوضيب السمك ، وترتيبه لتقديمه على المائدة على الصينية الخاصة به هكذا كما يظهر .



الكاتب الياباني المشهور إينوويه ...
وإينوويه هو الكاتب المشهور بتعدد آفاقه ورحلاته وإيمانه العظيم بأن الاسلام دين حي .

لم يجدوا الأرض ليزرعوها فزرعوا البحر باللآلىء :



تربية مجموعة متنوعة من أسماك المحار في هذا الخليج بشمال اليابان .



الفن اليابانى الأصيل ، وفى تصورى ان اليابانيين من اعظم من إستخدم فن التلوين ، والتلوين مع الصبر والدقة يمكن ان يخلق عالما يحلم الجميع به .

على الطريقة اليابانية ايضا تجتمع السيدات وحدهن فى لقاءات شاى . . او عشاء . . او سمر خاصة ، وكلهن يرتدين الكيمونو اليابانى ، وكما نرى فإن السيدة المضيفة تقوم بعمل ما يقدم لضيفاتها امامهن . . وقد جلس الجميع هكذا . . على الطريقة اليابانية .





عند الرسوم المتحركة الساحر
حقبة جديدة: تنسحب الرسوم المتحركة
للتلفزيون والسينما في اليابان.









عالم اللعب فى اليابان . .

وفى تصورى انه من هنا بدا غزو اليابان للعالم الاقتصادى . . فقد إبتكر اليابانيون اللعب فى البداية وراحوا ينفذونها . . ويصنعون الملايين منها ، ثم يصدرونها ـ ومن هنا اصبحت لعبة مكتوب عليها : صنع فى اليابان هى الشىء المحبب إلى كل اطفال الدنيا . . والصورة تظهر فقط مدى غزارة الانتاج . .



تاكيو فوكودا رئيس وزراء اليابان الأسبق بين بعض هواياته . . الكتابة الفنية ـ وبين لعبة الـ « جو » الشهيرة فى اليابان والغير معروفة حتى الآن خارج اليابان ولكنها بالتاكيد فى طريقها إلى الانتشار . . ولا تجد شابا يابانيا يلعبها لانها تستغرق وقت فراغ طويل لا وجود له فى حياة شباب اليابان .

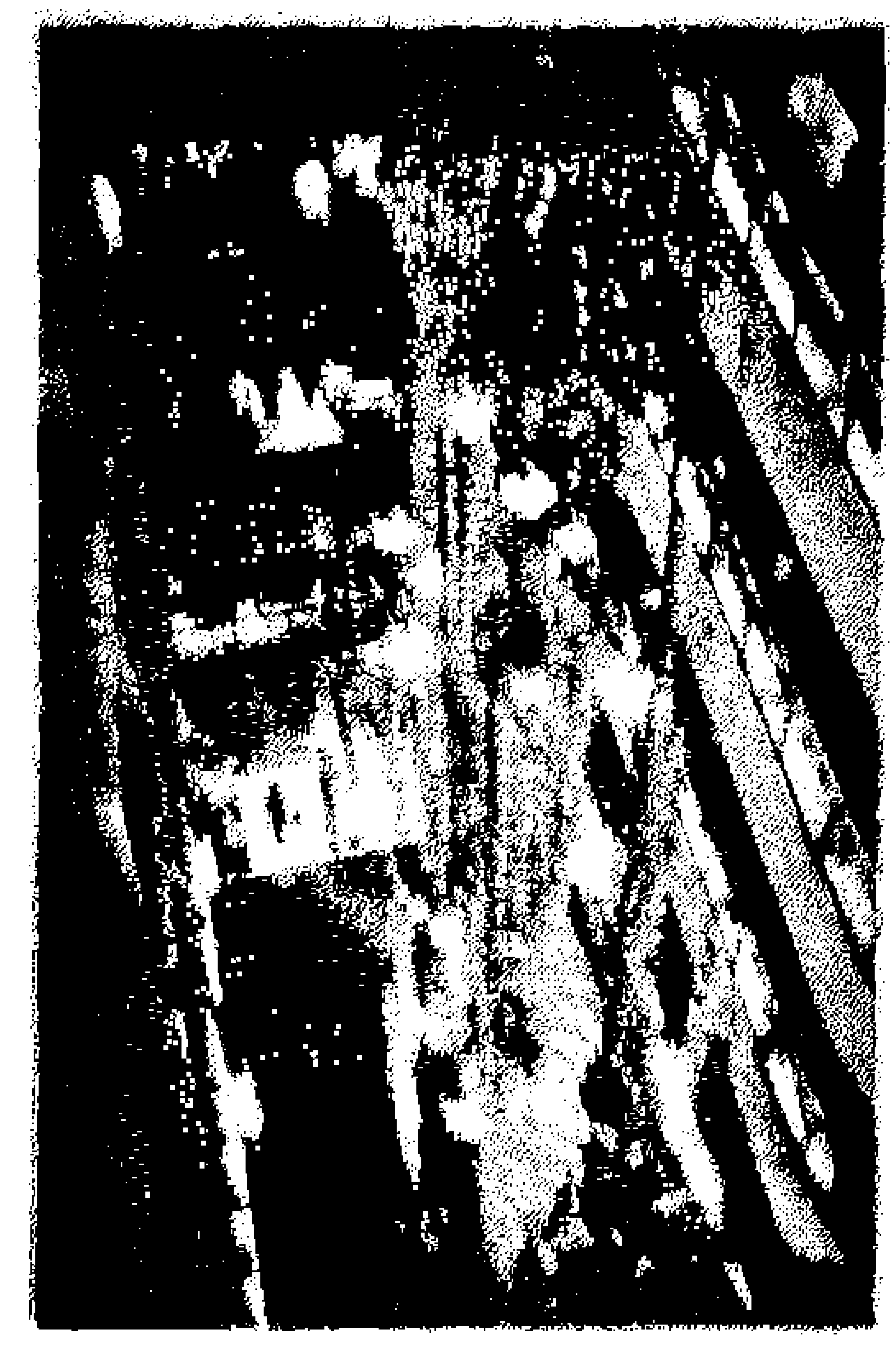


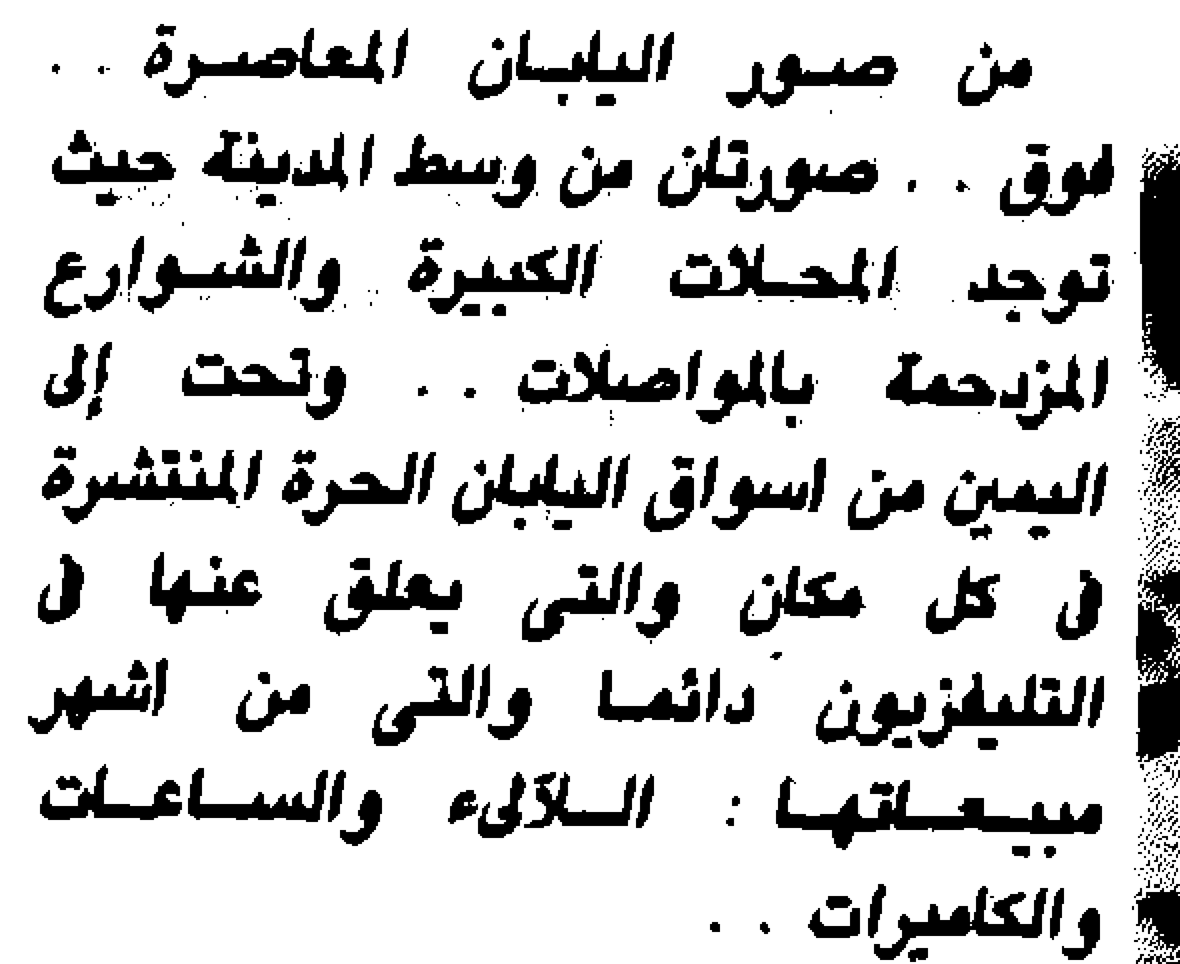
فوق

صناعة الكيمونو ، ولا يوجد فى العالم كله مثيلا لجمال الكيمونو اليابانى المصنوع من الحرير الخالص المنسوج بالايدى مباشرة ، وتعد مدينة كيوتو ـ العاصمة القديمة لليابان اشهر مدينة تصنع اجمل كيمونو حيث يصل سعر الواحد منه إلى خمسة آلاف جنيه ! . .









من صور اليابان المعاصرة . .
فوق . . صورتان من وسط المدينة حيث توجد المحلات الكبيرة والشوارع المزدحمة بالمواصلات . . وتحت إلى اليمين من أسواق اليابان الحرة المنتشرة في كل مكان والتي يعلق عنها في التليفزيون دائما والتي من أشهر مبيعاتها : اللآلىء والساعات والكاميرات . .







التحول من شاب يابانى معاصر إلى إمراة من القرون الأولى يستغرق وقتا وجهدا وفنا خاصا من الممثلين على مسرح كيووجورو الشهير فى قلب العاصمة ، وهو واحد من اهم معالم طوكيو ، حيث تستمر المسرحية . . او العرض طوال النهار ، ويتحدثون بلغة يابانية اشبه بالصينية ولا يسمح للنساء بالصعود إلى خشبة المسرح . . فالممثلون كلهم من الرجال . . سواء ادوا ادوارا رجولية او نسائية . . لا يهم . . وهذه فى الناحية اليسرى - فوق - هى الصورة الأخيرة التى ظهر عليها الممثل والتى يظهر بها امام الجمهور .







الأمبراطورة . . والأمبراطور
والعائلة الأمبـراطوريـة . .
شبه المقدسة





وهى من اقدم عائلات اليابان ، واليابانييون او كثير منهم يؤمن بانهم من سلالة الشمس ، والشمس كانت معبودا عظيما لدى اليابانيين . . وهم يحبون دائما ان يربطوا إسم بلادهم بإسم الشمس فيقولون . . بلاد الشمس المشرقة .. . وهم يقولون : من هنا تشرق الشمس ، وهذه شبه حقيقة ، والشمس تشرق اولا هناك . . ومن هناك يبدأ اليوم الجديد سباقا لكل ايام الدنيا . . ومن هنا ايضا كانت العائلة الامبراطورية فوق كل إعتبار ولو انها عائلة تؤمن باحترام القانون وقدسيته .

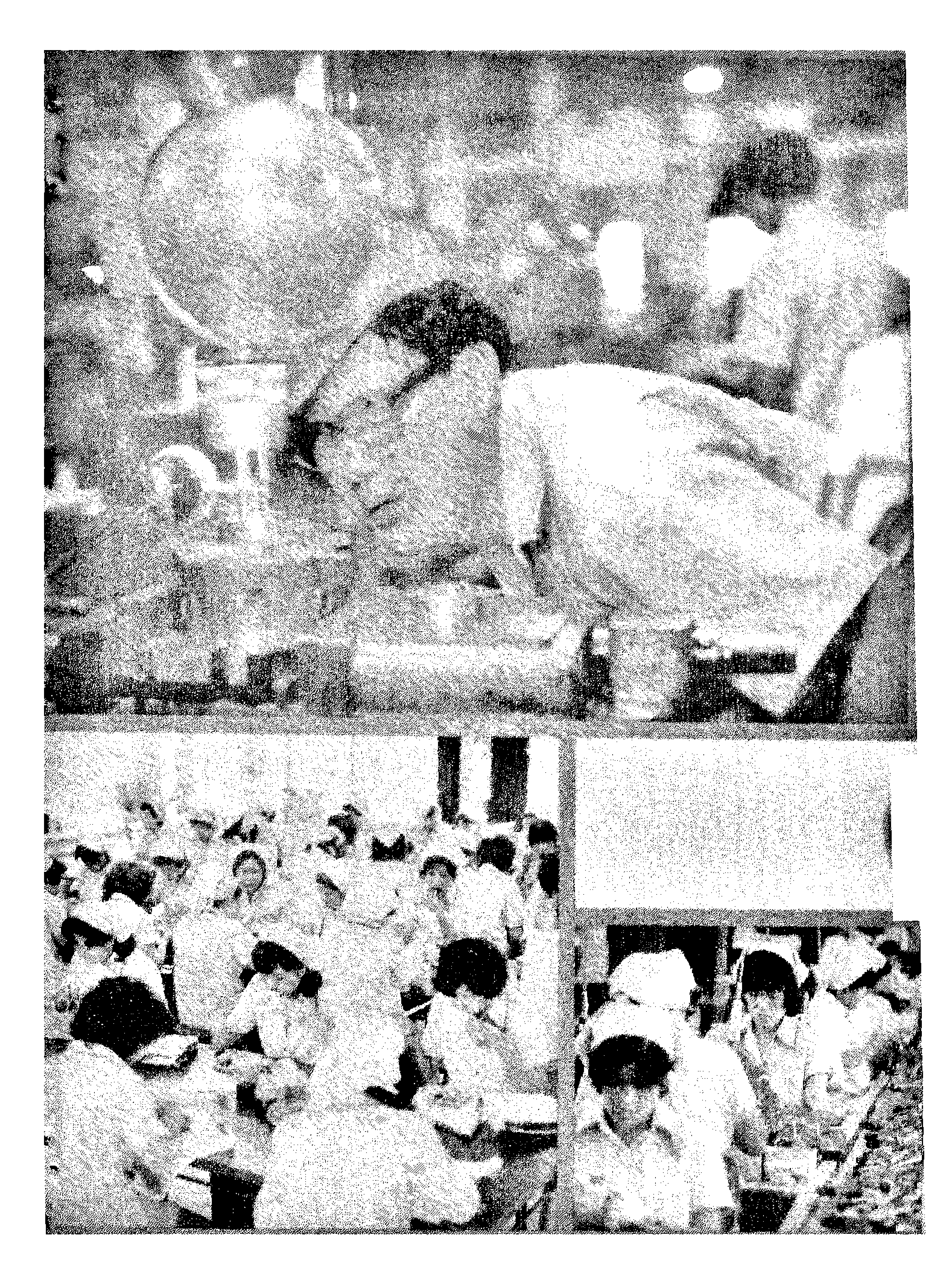
ليس مهما ان يكون هذا الجالس امامها هو رئيس وزراء سابق . . ولكن المهم هو هذا الاحترام الذى يحظى به الرجل فى اليابان . . هذا الأسلوب المهذب فى التعامل بين المراة والرجل . . هذه التقاليد التى كدنا ننساها ، ولم ينسها شعب اليابان . . ومن هنا بقيت عراقته .

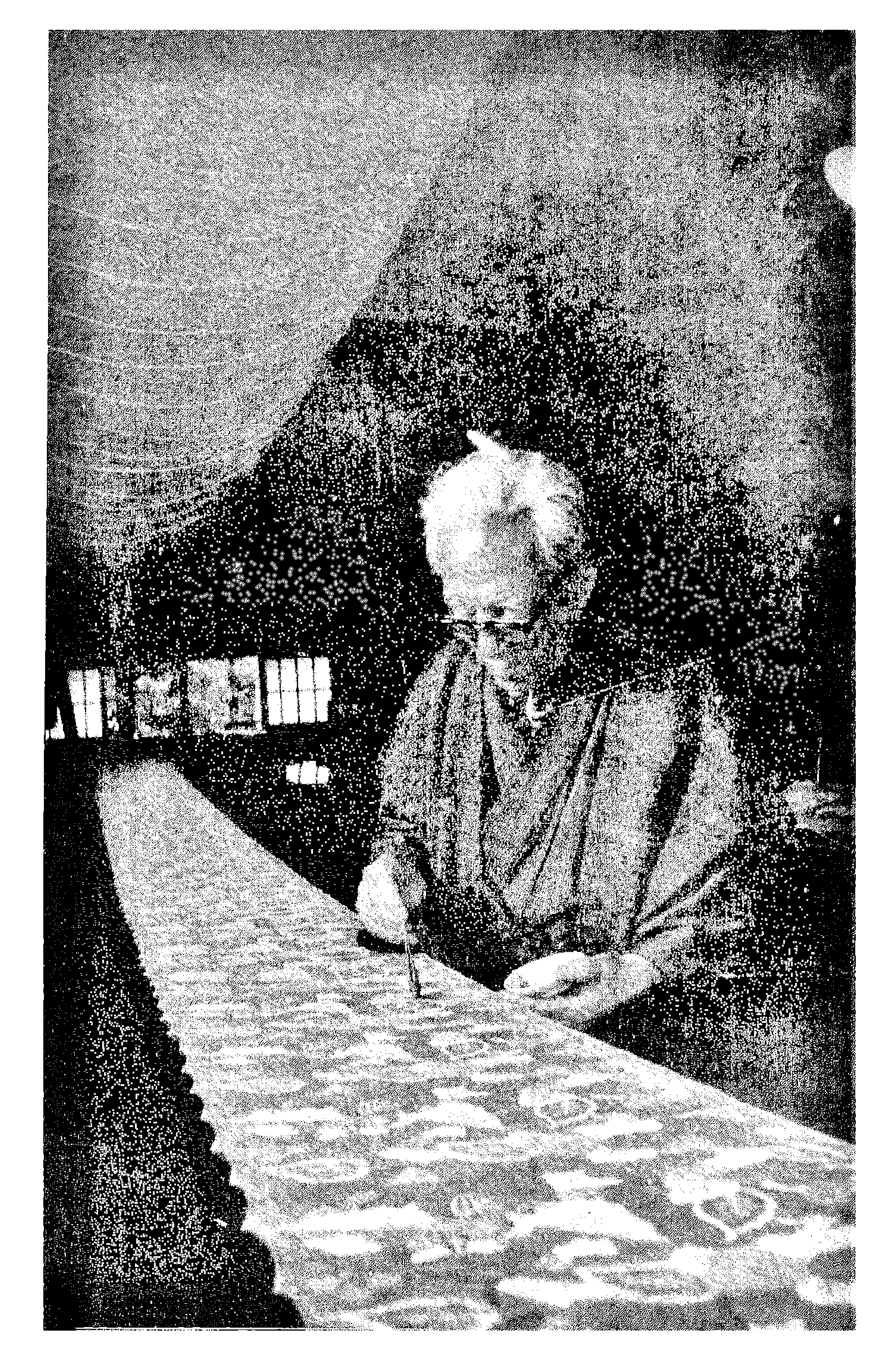
شارع الجينزا الشهير :

وهو مر العاصمة اليابانية طوكيو ، وهو ايضا ملتقى الشباب . . شباب اليابان . . وشباب الامريكيين المقيمين هناك ، وشباب السائحين ايضا وهو الشارع الذى لا تنقطع الحركة فيه إلى منتصف الليل او قرابة الفجر . .







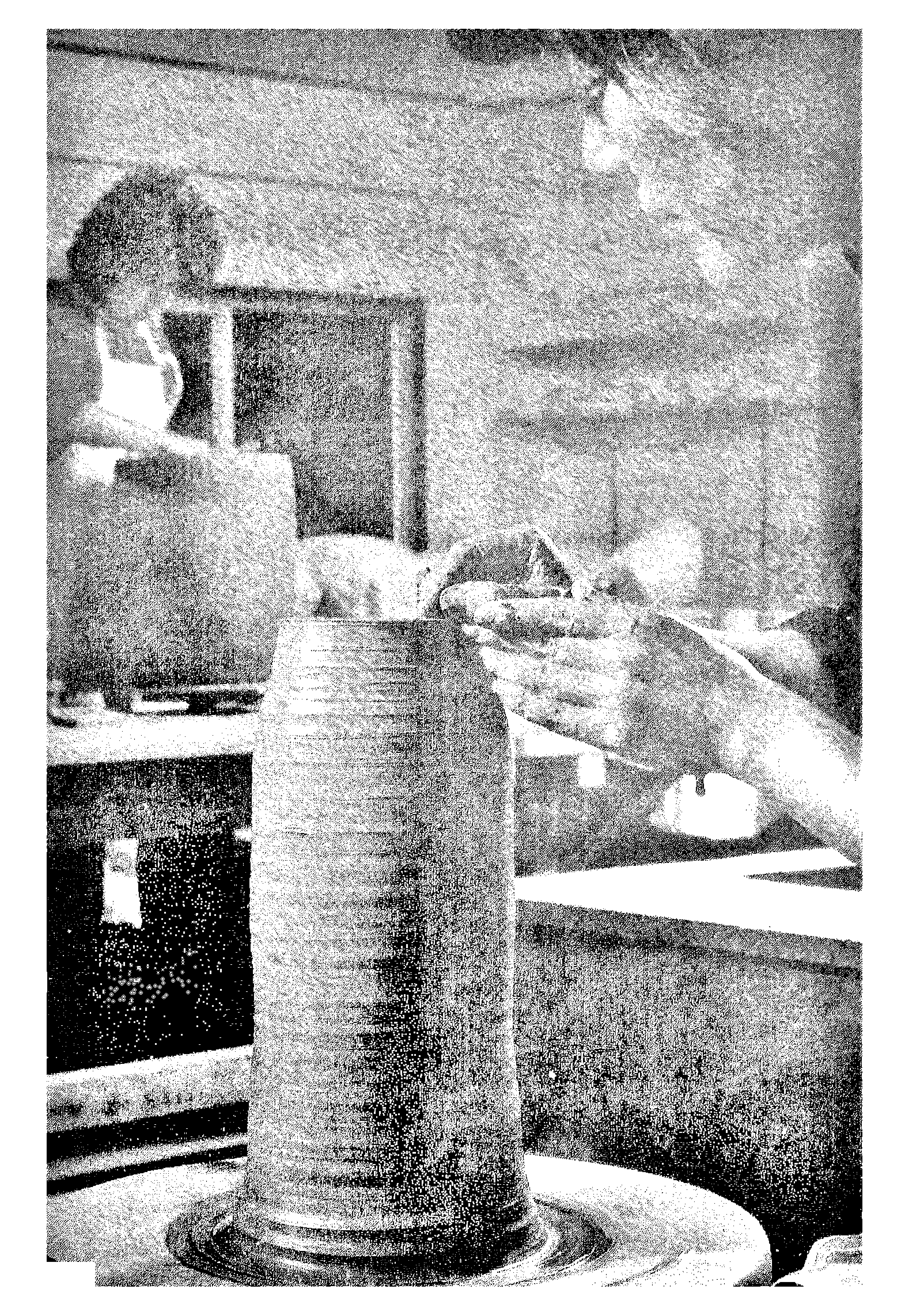


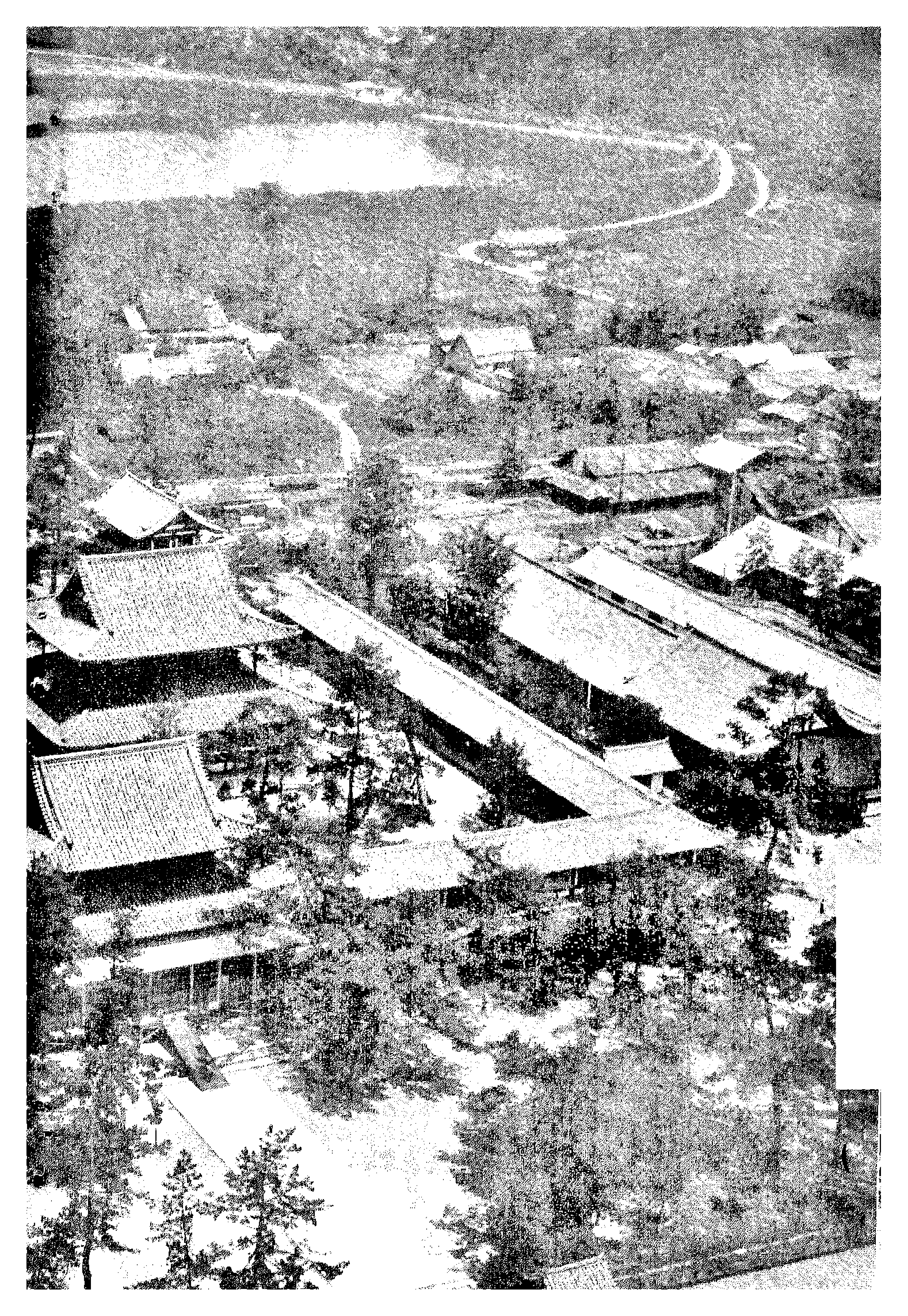


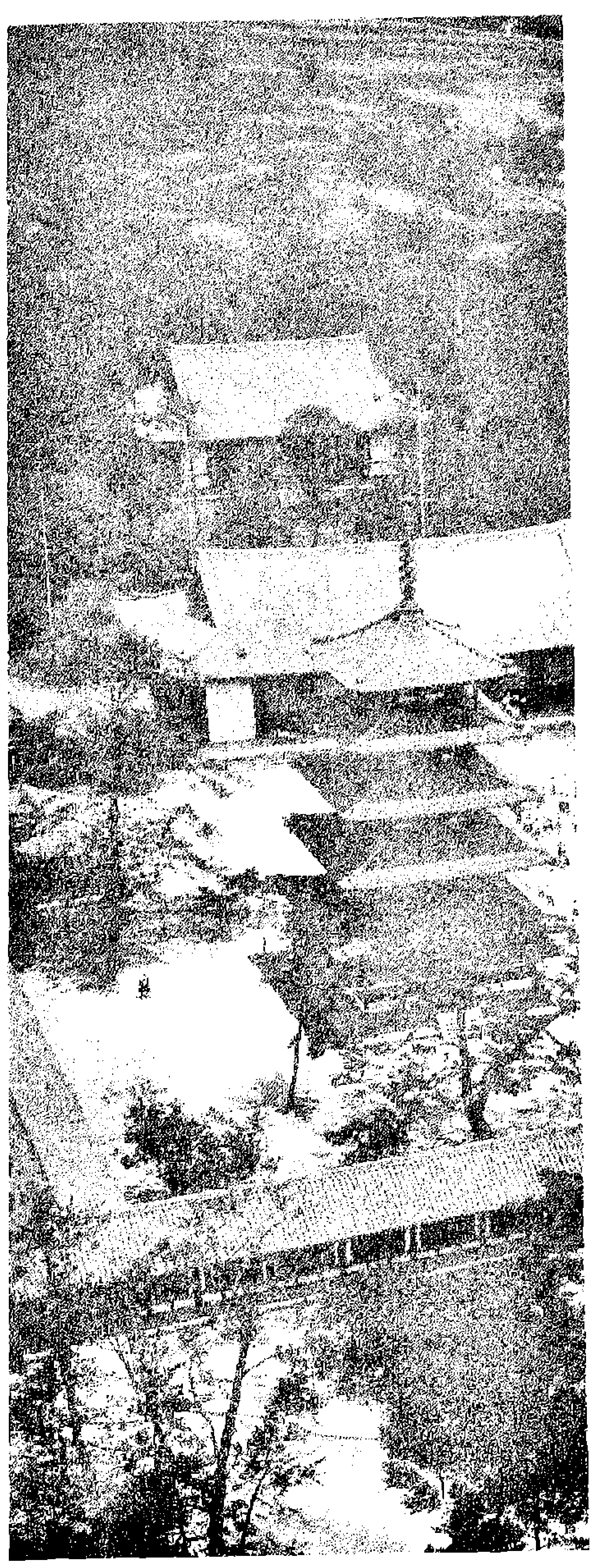
التكنولوچيا موجودة نعم
وأعظم آفاق التكنولوچيا

ولكن اليابانيين لم يتخلصوا من صناعاتهم القديمة ، فهذه صناعة الفخار اليدوية التى لا تعتمد على اية تكنولوچيا ، بل صناعة يدوية بسيطة تستهدف وقتا طويلا ما زالت تحيا فى عالمهم وتعيش معهم .. لم يتخلصوا منها .

والصور توضح .. بين الدرس .. والاتقان .. وبيع الفخار فى النهاية ..



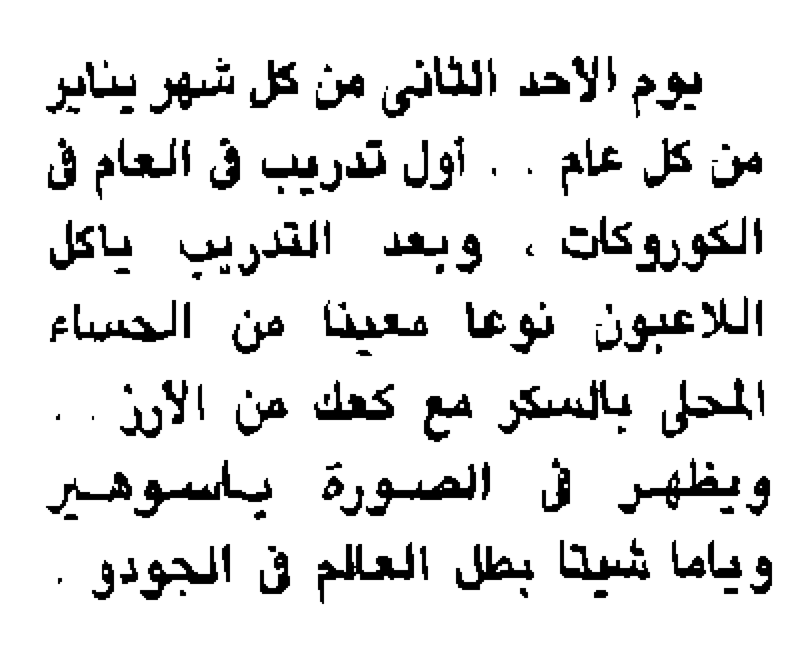




صورة من فوق ربوة :

هكذا تظهر المعابد .. على شكل البيت اليابانى العادى القديم من الخارج .. ومن الداخل ايضا مصنوعة من الخشب .. تشم فيها رائحة البخور لا ينقطع وقد يوجد بها بعض التماثيل تشير إلى الآلهة او لا يوجد .. ولكن هناك دائما قديس يمارس العبادة وقد يكتب الاحجبة ايضا لمن يريد .





يوم الأحد الثاني من كل شهر يناير
من كل عام . . أول تدريب فى العام فى
الكوروكات ، وبعد التدريب يأكل
اللاعبون نوعا معينا من الحساء
المحلى بالسكر مع كعك من الأرز .
ويظهر فى الصورة ياسوهير
وياما شيتا بطل العالم فى الجودو .



الكودو كان محط أنظار لاعبى الجودو ، يجتذب أناسا من الجنسين ومن كل الأعمار

وبحيرة البجع أيضا على أرض اليابان :

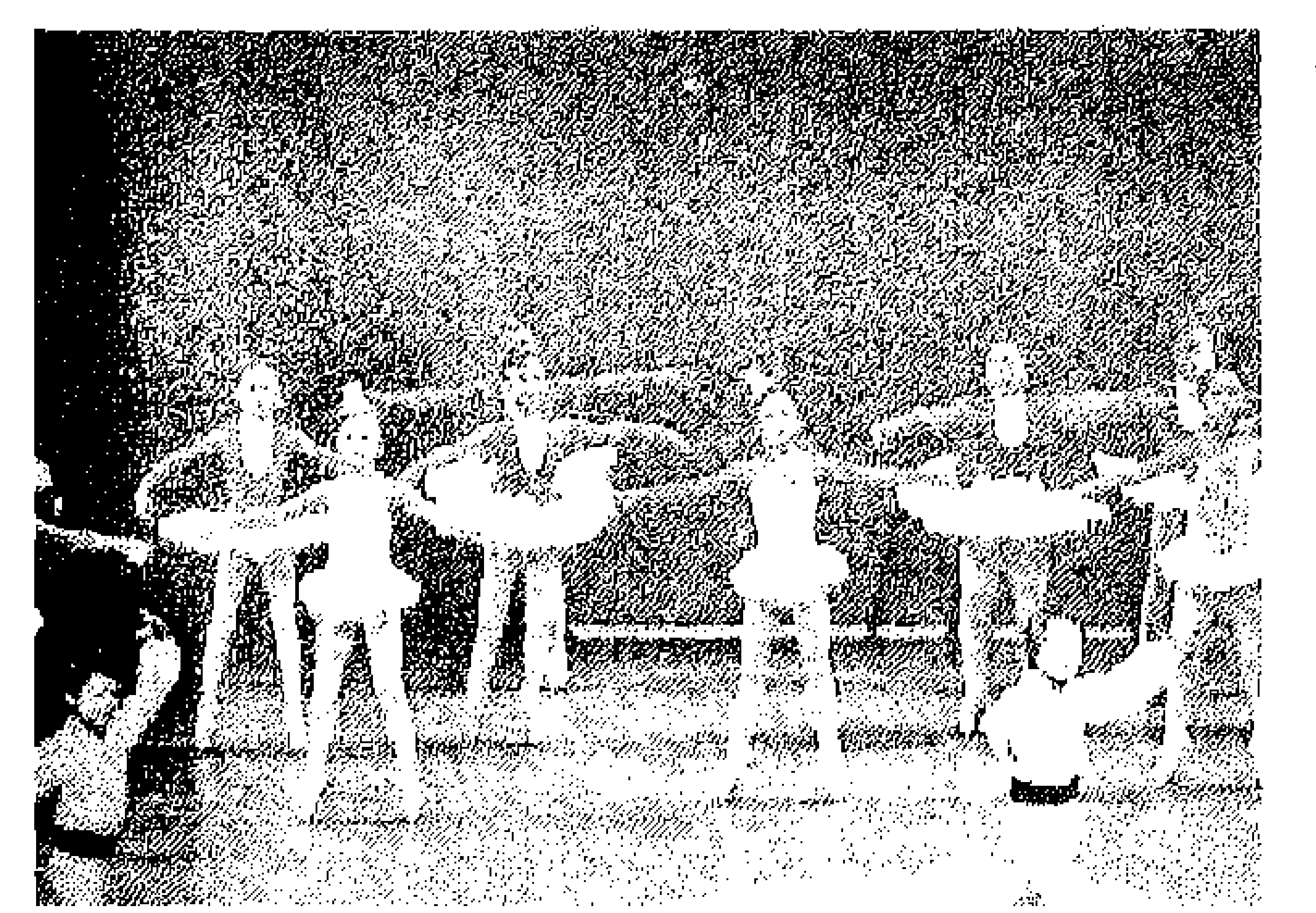
بكل روعتها وجمالها . . وكأنك تراها على مسرح البولشوى الشهير فى





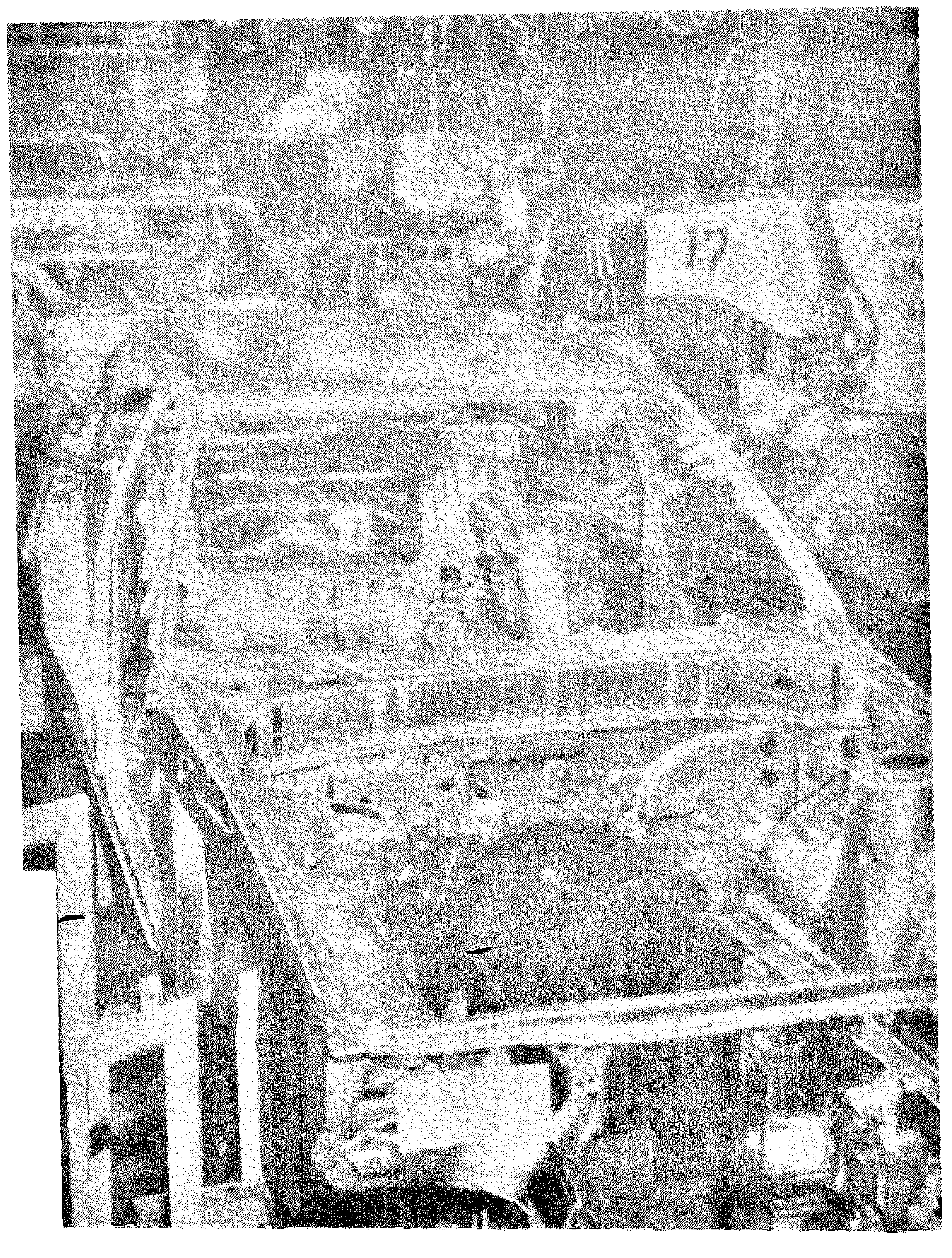
موسكو ، ولكنها هنا من بنات يابانيات اتقن الميران ـ كما نرى تحت ـ واتقن الأداء ، وظهرت وكأنهن بجعات تشايكوفسكى كما تخيلهن تماما . . فى إنتظار الأمير . .





القواقع اليابانية ومنتجات البحار تعامل معاملة خاصة . نظيفة ورائعة . وتتم بسرعة رغم وفرة الانتاج ووفرة ما يقدم منها للناس ايضا . . والمرأة هى العاملة رقم واحد فى هذا الانتاج ايضا .





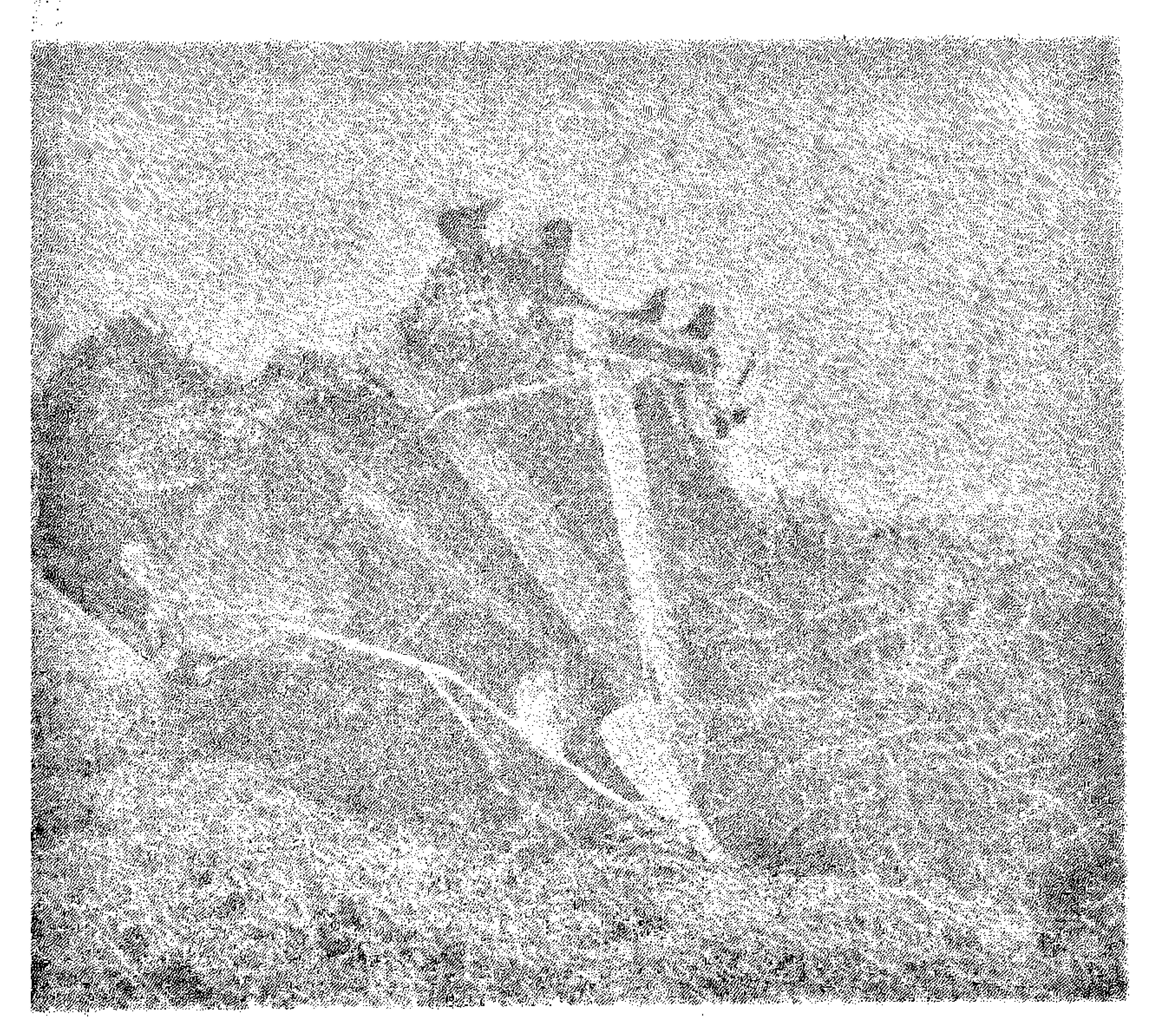
هكذا دخل الانسان الآلى إلى صناعة السيارات فى اليابان . والانسان الآلى هو صنيعة الكومبيوتر ومن ثم فإننا نرى طابور السيارات يمضى على السير الخاص بها ، ويقوم الانسان الآلى او الآلة بتركيب القطع المختلفة هكذا يتم الانتاج سريعا وتوفر اليابان ملايين الأيدى العاملة .



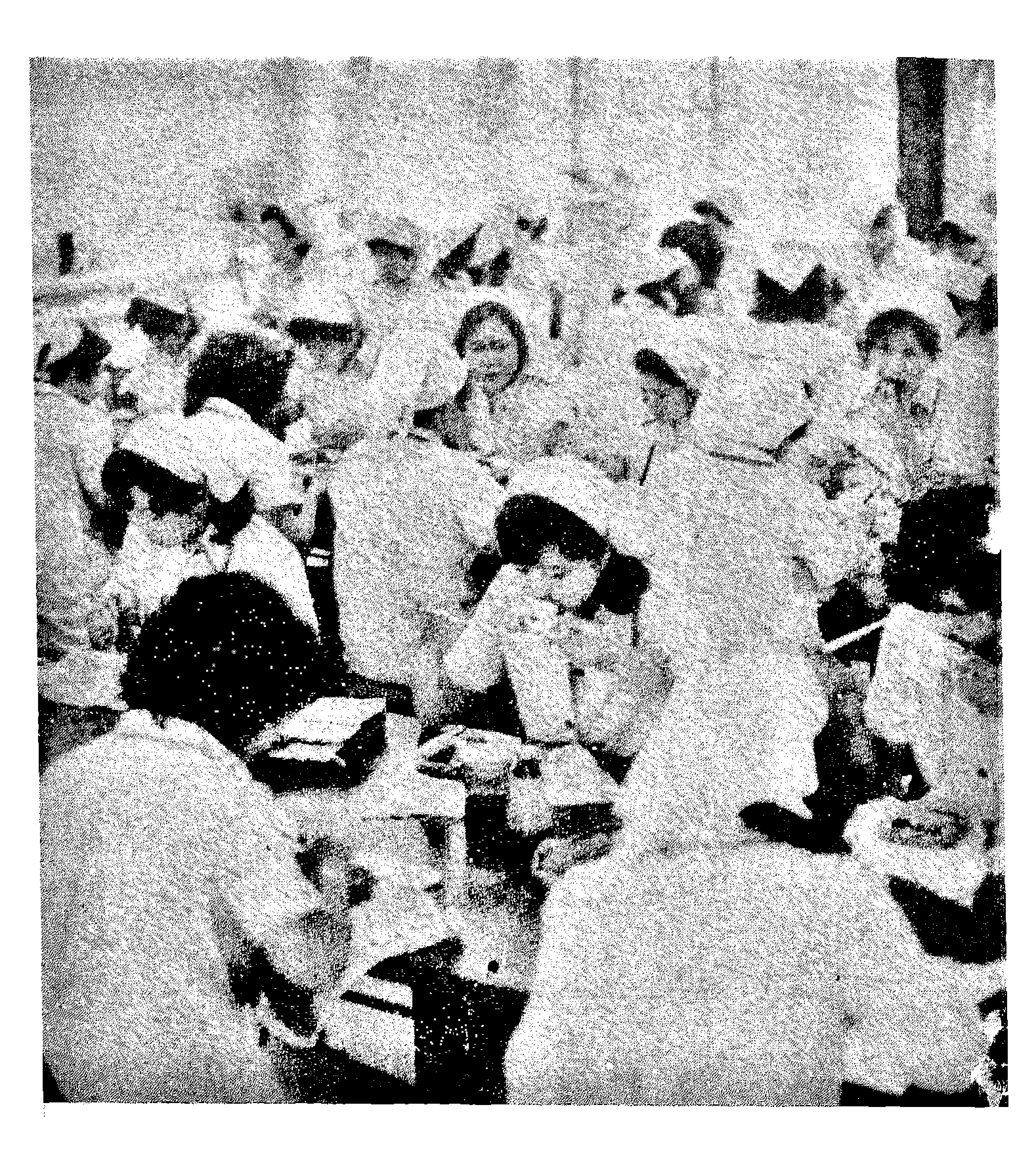
الميكنة الزراعية اساس من اسس الانتاج الزراعى اليابانى الحديث . فيه توفير للأيدى العاملة وفيه زيادة حقيقية للانتاج . واليابان لها دورها الآن فى الميكنة الزراعية فى مصر وغيرها من دول العالم .



الميكنة فى الزراعة تتيح لصغار المزارعين إمكانية حصاد الحبوب بسرعة وكفاية .



مزارع الأسرة الصغيرة شائعة فى اليابان .



الغلاف : من تصميم الفنان :

وليم مرقص

السكرتير الفنى لمجلة اخر ساعة

وقام بالإخراج الفنى للكتاب :

رشيد عبد الرحمن آدم

سكرتير تحرير اخر ساعة

عن الكاتب والكتاب

بعد رحلة استمرت سبعة وعشرين عاما فى الصحافة المصرية . . جاب خلالها أقطار الدنيا من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب . . إلى الغرب البعيد . . التقى خلالها بعدد من زعماء الدنيا الذين أثروا فى عالمنا المعاصر . .

كانت زيارة طارق فودة لليابان . .

ولم يحدث أن أثرت دولة ما فى نفسه وفكره كما فعلت اليابان . . فراح ينقل على صفحات هذا الكتاب كل أفكاره وإحساساته . تماما كما رآها وعاشها لحظة بلحظة . . وأبعد من هذا ، ذلك الذى حدث على أرض هيروشيما أول مدينة على هذه الدنيا تتحطم بفعل أول قنبلة ذرية ألقيت فى الثامنة والربع من صباح أغسطس سنة ١٩٤٥ . ما الذى حدث فى هيروشيما ، تماما كما يرويه الطبيب اليابانى الوحيد الذى بقى على قيد الحياة ، وتماما كما صورها مصور يابانى تحركت الكاميرا [illegible] للعالم كله صورة لبشاعة ذلك اليوم . . ثم كيف عاد أبناء [illegible] إليها . . وكيف نما على الأرض عملاق يابانى اقتصادى [illegible] الدنيا بما تصنعه يداه . .